تحليل المتون الشفوية الدينية بالوسط المحلي مقاربة أنثروبولوجية

The analysis of the religious oral scripts in the local environment; An anthropological approach

بودواية مختار* أستاذ محاضر قسم "ب"
جامعة ابن خلدون تيارت (الجزائر)

تاريخ الاستلام : 2017/07/06 ؛ تاريخ المراجعة : 2020/05/27 ؛ تاريخ القبول : 2020/06/15

ملخص :

هذا المقال محاولة لتحليل المتون الشفوية أنثروبولوجيا، مع تحديد دورها ووظائفها الاجتماعية؛ نلاحظ أن هذه القوالب اللغوية لم تفقد من دلالاتها ومن حمولتها الرمزية على الرغم من وجود تغير جذري مس البنية الاجتماعية والأدوار والمكانات. على الرغم من أن المتون الشفهية ترجع إلى فترات زمنية -تاريخية- سابقة، إلا أنها ترتبط بفضاءات وبفاعلين ''هنا الآن'' مثل المردد ولمتداول في الوسط المحلي؛ المتن الشفهي على علاقة بالأسطوري، الرمزي والواقعي يسهم في صناعة نمط التدين والتعبير عن أشكال المقدس وتجلياته القيمية؛ الغاية النهائية هي فهم الاستخدام الاجتماعي للغة بالوسط المحلي وعلاقته بالاجتماعي الديني والقيمي، نحن أمام جماعات تسعى لإنتاج القيم والمعاني والتفاوض الجدلي حولها ثم ترسيخها من خلال تداول اللغة.

الكلمات المفتاح : الكلمات المفتاحية: القيم الدينية؛ الفاعل الديني؛ الوسطاء؛ المتون الشفهية.

Abstract :

This article aims to analyse oral texts anthropologically, defining the social role they play since it is noticed that there is a radical change in the social structure, role and status. However, linguistic forms have not lost its values though they go back to ancient eras. This paper questions its function and relation with the producer and the echo in the local environment. It also deals with the role of the imaginary, symbols and texts in creating a pattern of religiosity and modelizing behaviour, and the relationship between these determinants and values. The study examines the society/ communities that aim at producing meanings and discussing them argumentatively by consolidating the linguistic use. The article tackles some anthropological notions such as mediation and first founder, dynasty, tribe and religious actor.

Keywords : religious values, behaviour, mediators, religions actor, oral texts.

I- تمهيد :

الغرض من المقال تقديم وصف مكثف للممارسات اللغوية وعلاقتها بالاجتماعي والديني؛ الانطلاقة من فهم البنى الألسنية واستخداماتها ضمن سياقها الاجتماعي الراهن، نحن أمام واقع مركب تتنازع فيه أنماط الفهم والتأويل (أنماط للتدين ترتبط بمتون شفهية) في هذه المقالة نسعى لفهم اللغة المتداولة على اعتبار أنها وضعيات اجتماعية-لسانية تعتمد على المتخيل الرمزي، الأسطوري، وتؤدي وظائف اجتماعية؛ المتون الشفوية تعبر عن وقائع وأحداث اجتماعية خارج اللغة. نسعى إلى تحليلها لأنها ترتبط بوضعيات تواصل يمكن النظر إليها على أنها مقولات إيديولوجية راسخة، نتجت عن تفاعلات اجتماعية تاريخية متعاقبة؛ الشفويات عبارة عن قوالب ثابتة على علاقة بالفاعلين الاجتماعيين، تعبر عنهم وعن المؤسسات الاجتماعية مثل: الأسرة، المسجد، الزاوية والتنظيم الاجتماعي. يتوسط المتن الشفوي العلاقة بين المجتمع والدين ومن خلاله يتم التعبير عن القيم، المقدس والمدنس؛ نحن أمام تعدد للقوالب اللغوية إذ أن كل منها يحيل إلى نمط وقيم ذات طابع خاص ونماذج للتدين نسعى لفهمها؛ هذه الخطابات ليست محايدة، من خلالها يمكن أن نفهم الاجتماعي والثقافي، يمكن أن نفهم التصورات والتمثلات والقيم والسلوكيات لهذا نطرح التساؤلات التالي؛ كيف يعيش الأفراد الدين، التدين في الحياة اليومية؟ هل يمكن القول بأن ديمومة المتون يعنى أننا أمام ديمومة للقيم وأنماط التدين، بما فيها فهمنا للمقدس والمدنس؟ ألا يمكن الحديث عن تغير اجتماعي وفاعلين جدد وقيم جديدة؟

II-الشفويات لغة واصطلاحا: مادة شَفَوِيْ (Orale) تستخدم كصفة لتدل على ما يتم التلفظ به (relatif à la bouche ،exprimé par la voix)، وتعنى الصوت المنبعث عن طريق الفم؛ مصطلح الشفهية يستخدم كاسم يحيل ويعبر على الكلمة المنطوقة التي تقابل المكتوب la voix l'écrit؛ كما أنه يعبر في علم النفس عن مرحلة من مراحل تطور اللغة أي "المرحلة الشفوية"؛ لكن بالرجوع إلى المعاجم والقواميس المتخصصة نجد بأنها موضوع مركزي مشترك للعلوم الإنسانية والاجتماعية. إن ارتباط المفهوم بأكثر من اختصاص يجعل معانيه متعددة ويُصَعِب من عملية التعريف، هناك تعريفات تضيق المفهوم وتربطه بتخصص واحد، تعريفات أخرى تجعله واسعا، مما يجعل من مطابقة كل التعريفات أمر في غاية الصعوبة. تتفق قواميس اللغة على أن "مُشَافَهَةْ" من المصدر "مُفَاعَلَة"، تدل على الممارسة؛ وهي تشير أيضا إلى كل المعارف غير المكتوبة، التي تتميز بأنها "موثوقة" لدى معتنقيها. الشفويات هي جملة من المقولات اللغوية غير المكتوبة؛ هي عبارة عن بناء يعتقد الأفراد أنها منطقية تعبر عنهم وعن واقعهم. الشفويات "جزء من التراث الذي يتخذ شكلا –شفرة- حسب كل مجتمع، يستند إلى موروث ثقافي؛ يحمل في نفس الوقت تاريخ الجماعة ومعتقداتها وتصوراتها الرمزية وأنماطها الثقافية ورؤيتها للعالم، لكونها منغمسة بعمق في القيم الخاصة بالمجتمع" (إزار، 2011، 45)

أما المتن الشفوي فيقصد به؛ مجموعة من النصوص تشكل مادة للبحث. المتون الشفوية جزء من اللغة، تخترق الكلام العادي، هي عبارة عن خامات تعبيرية مستعارة؛ وطقوس كلامية تتميز بالتعدد والتنوع كالنوادر، الأحاجي، الألغاز، أشكال التلاسن، الكنايات، النعوت والأوصاف، وجل العبارات. الشفويات هي نصوص يسهر الأفراد على ترديدها ويعتقدون بقوتها وطاقتها التعبيرية وأثرها البالغ؛ في المجتمع المحلي يعتنى الأفراد بالكلمة المنطوقة وبطرق الاستخدام الاجتماعي للغة؛ وهو ما تدل عليه الأمثال؛ "الحدِيث قيَاس فِيه الفَضَّة وفِيه النحَاس" "لاَ تسرَج قبَل مَا تلَجَم وعقَد عَقدَة صحِيحَة؛ لاَ تَتكَلَم قبَل مَا تخمَم لاَ تَصرَالَك فضِيحَة." "الكْلاَمْ الزِيْنْ يُغْدَىْ مْعَ الدِيَةْ" كما أننا نجد العديد من العبارات التي تركز على ضرورة الاقتصاد في الكلام وتعطي أولوية للكلمة المسموعة-الموزونة مثلا؛ نصح المستمع دوما بالعبارة التالية "كُولْ الحْدِيثْ، فْهَمْ سَاسْ الكْلاَمْ" يتم تعويد الأفراد التحفظ والتقليل من التفاعلات اللفظية وفق النموذج التالي "كَايَنْ لِيْ يْخَبِيْهْ وَيْنَبِيْهْ وَيْدِيْرْ عْظَامُوْا كْدَادَةْ وْيَجَبْدُوْا نْهَارْ الصِيَادَةْ" أي أن بعض الأفراد يعرفون طرق الحجاج لكنهم يلتزمون بوضعية السكوت وينتظرون الفرصة المناسبة للتحدث هذا الاستراتيجية تُشَبِهُ الكلام والنقاش بالصيد فمن أجل الاقناع يجب تصيد العبارات الملائمة والمناسبة للمقام. المتن الشفوي عبارة عن نسيج والنسيج في لسان العرب يفيد "التلاحم والحَبكْ، وهو يعنى ضم

الشيء إلى الشيء" القوالب اللغوية الشفهية عبارة عن نسيج مكون من أجزاء تنتظم لتشكل بنية لغوية مكتفية بذاتها لها غاية تدخل إلى حيز الاستخدام تقبل التواصل وتؤدي وظائف مثل الابلاغ والاقناع (محسن بوعزيزي، 2010، 127) المتن عبارة عن "نسيج من الألفاظ تجمع يُدفَعُ بها لإنتاج دلالة وأثر، وتنتظم لتولد معنى ثابتا يدركه كل الأفراد".(محسن بوعزيزي، 2010، 129). كما أن المتن الشفهي نقطة التقاء بين المرسل والمرسل إليه وهو عبارة عن بنية دلالية (**structures significatives**) الشفهيات عبارة عن تقليد أو تراث لغوي، يبين لنا عادات الناس وتقاليدهم، وجل ما يعبرون عنه من آراء، أفكار ومشاعر، يتناقلونها جيلا عن جيل، يتكون من؛ الحكايات الشعبية والأمثال والأساطير، ويشمل على الفنون "القولية" كالأغاني، والحكايات الشعرية والأمثال السائرة والألغاز والأحاجي والمفاهيم الخرافية التي يرددها الشعب "أي أنها مشتركة بين مجموعة من الناس" (الموسوعة العربية العالمية، 1999، 180-181) تدل الشفويات على مادة غير متجانسة تضم قصص البطولة الأغاني والمعتقدات الخرافية. وغيرها من الألوان التي لم تنل حظها الوافي من الدراسة والاهتمام.

حسب لاكوست دي جاردان "هي كل التعبيرات غير المكتوبة التي ينتجها الفرد من أي جماعة كانت، لها شكل معين؛ أنتجت لكي تتكرر وتنتقل من وسط إلى آخر أو داخل نفس الوسط، داخل نفس الجماعة التي أنتجتها وتكون بالتالي جزء من ثقافتها، ما من أثر "شفوي" إلا وجدنا فيه رواسب نفسية موغلة في القدم" (شابحة، 8-9)، يمكن أن نلاحظ شيوع استخدام "الكلمة الشفوية" وهي عبارة عن " مكون لغوي على علاقة بالذاكرة الجماعية الحية، تحمل في طياتها حكمة وموعظة، تحدد للإنسان سلوكه الاجتماعي وتمكنه من اكتساب دراية" (بن مومن، 2006، 34)"تناط بالتقليد الشفوي عدة وظائف داخل المجتمع داخل المجتمع كالتوعية، العبرة، ترسيخ الهوية وتخليق الحياة اليومية، التسلية والترفيه...إلخ ويعد المقول الشفوي على وجه الخصوص مرآة للمجتمع ولذهنيات أفراده وهو يفصح عن ماهية اعتقاداتهم" (بن مومن، 2006، 35) أي أنه على علاقة بالقيم.

III- القيم لغة واصطلاحا: القيمة؛ لُغةً من اللاتينية Valère واللفظ "قِيمَةٌ" استخدم لفترة طويلة في الدراسات الاقتصادية بمعنى ضيق لتدل في الغالب على أن الشيء، أو المادة يحملان في ذاتهما منفعة أو وزنا أو ثمنا، وكلمة قِيَمْ مفرد قِيمَة، تستخدم بمعان مختلفة فهي تحيل إلى "قَوَمْتُ الشيء ؛ تَقْوِيْماً وأصله أن تقيم هذا مكان ذاك، ومنها استقمتُ المتاع أي قَوَمْتُهُ ومنها أيضا قِوَامُ الدين والحق أي به يقوم أما القِوَامُ الحسن فهو القامة" (هارون، 1991، 43) وجمعها "قِيَمْ" إذ يقال ما للإنسان من قِيْمَةٍ، أي ما له من ثبات ودوام على الأمر؛ أي مدى التزامه بالقيمة. نجد أيضا أمرٌ قَيم، مستقيم وكتاب قيم أي ذو قيمة (شوقي ضيف، المعجم الوسيط 2004، 768) إن المعاجم والقواميس اللغوية تجعل من هذا المصطلح يفيد ضمنيا المعاني التالية التعديل، الاعتدال والاستقامة، (قَامَ الأَمرُ أي استَقَام، قَامَ الحَقُ أي ظهر؛ كما أننا نجد تقاربا بين الألفاظ التالية؛ قِيْمَةٌ، قِيَامُ، تَقْوِيْمٌ لتدل ولو ضمنيا على نفس الدلالات والمعاني السابقة.

إن كلمة "قيمة" من وجهة نظر المختصين علم النفس تفيد؛ "كل ما نُؤثره وما نُفضله وتتجه إليه رغباتنا وما تميل إليه حاجاتنا، لتنتظم وتكون نسق ما؛ القيمة ضرب من الاتجاه الأمثل، يؤسس هذا الاتجاه لاستعداد نفسي أو تَهَيُئ عقلي قابل للتعلم والنقل؛ "القِيْمَةُ عبارة عن استجابة " نحو الأشخاص أو المواقف أو الموضوعات المختلفة؛ وهي عبارة عن مفهوم مجرد يتصل بالذات" (عبد المنعم حنفي، 2003، 96)مما سبق يمكن القول إنها عبارة أحكام عقلية انفعالية منظمة معممة نحو الأشخاص، الأشياء والمعاني بمثابة "معيار" على ضوئه يمكن الحكم بخيرية الخير وحسن الحسن وقبح القبيح، القيم تحدد ما يجوز وما لا يجوز، تحدد أيضا المرغوب وغير المرغوب. القيمة هي محصلة مجموع الاتجاهات التي تتكون لدى الفرد إزاء شيء أو حدث أو قضية معينة، "تعتبر القيم دوافع مهمة للسلوك، لها أهمية كبرى ليس فقط في حياة الإنسان الخاصة بل فيما يقوم به الأفراد والجماعات من سلوك." (حسن شحاته آخرون، 2003، 243)مما سبق نستنتج بأن القيمة

هي؛ مجموع القواعد والمقاييس الصادرة عن جماعة ما، يتخذونها معايير للحكم على الأعمال والأفعال، تتميز بقوة الإلزام والضرورة والعمومية، يعد الخروج عنها بمثابة انحراف عن قيم الجماعة ومثلها العليا. "ترتبط بعناصر البناء الاجتماعي، وتمثل الصفات والمثاليات المرغوب فيها في كل فعل اجتماعي" (إسماعيل عبد الفتاح وآخرون، 2003، 366-367)

بعض الباحثين يرون بأن القيم هي جزء من المعتقدات الغيبية للأفراد، تضفي على حياتهم معنى هدف وغاية. "القيم هي مستوى أو معيار تمكن الأشخاص من للانتقال والاختيار بين بدائل أو ممكنات متاحة، ضمن نسق اجتماعي،" (فرفار جمال، ديسمبر 2008، 369) نستنتج مما سبق أن القيم " تمثل "نسق من التنظيم المعنوي" الذي يوجه الأفعال والسلوكيات الانسانية لذا تعكس منظومة احتياجاتنا واهتماماتنا، كما أنها "تشير إلى تركيب بين الأفكار والاتجاهات تؤسس لمقاييس التفضيل" (فرفار جمال، ديسمبر 2008، 369) "القيم متعالية بالنسبة للأفراد **Transcendantale** مفروضة عليهم، تبين لهم الخير والشر أي أنها مَرجَع يجب طاعته، هي معالم **Point de repère** تجعل الفرد يتبنى معتقدات وممارسات، يمكن أن تكون خاصة بفترة تاريخية ووقت محدد وبحضارة معينة، بأماكن مقصودة **(Gaston Mialaret, 453-454)**.

IV- خصائص المتون الشفهية الدينية: المتون الشفهية مشتركة بين جل الفئات الاجتماعية، ترتبط بالحقل الديني؛ تتميز بالتنوع والتعدد على مستوى النوع، الشكل والحجم (أساطير التأسيس، القصائد الملحمية، قصص الكرامة، الأمثال والحكم...الخ) ترتبط من جهة بالحقل الديني ونمط التدين و ترتبط بالفاعل الاجتماعي الذي تستمد منه شرعيتها؛ من جهة أخرى. تتميز المتون بالعديد من الخصائص مثل: الإيقاع الذي يُغلف المعنى، لخلق "جَرْسْ" تطرب له الأذن وتستسيغه الذات، نحن أمام نوع من الاستخدام للغة مفارق للاستخدام اليومي العادي –العابر- "نمط منقطع عن كل الأنماط اللغوية السائدة، يسعى للتتماهى مع الاجتماعي والديني؛ وفق انتظام محدد يعتمد على التكرار والتوازي بين وحداته والتداخل في العبارات لتحويله إلى إيقاع يخدم توجهات المنتج فالإيقاع يعتبر كاستراتيجية إقناعية، حجاجية؛ موجه في الغالب من مرسل إلى مرسل إليه مثل المتون التالية التي ترغب الأفراد في العبادات (القَبْلَةْ بْلاَ كْرَا وَالــمَاءْ بْلاَ شْرَا، الصْلاَ عْرَاكْهَاْ وْلاْ تْرَكْهَاْ، وعن الأشخاص الذين لهم ممارسات تعبدية متقطعة نجد المثل التالي يْشَهَدْ نْهَارْ الــرْعَدْ). الملاحظ أن المتون تتميز بالتعدد والتنوع وهي ترتبط بالفاعل التاريخي وبتجاربه وعلاقته بالمقدس.

الشفويات تُستخدَم في "اليومي" للتعبير عن توجهات الذات تتميز بوفائها للمحلية وهي تجمع بين الطابع الواقعي والخيالي معا، يتم فيها الاعتماد على اللغة البسيطة تُعبر عن الأحداث الفارقة في تاريخ الجماعة، قد تكون عبارة عن دعوة للتدبر في التجارب السابقة مثل التعبير عن تجربتين تجربة الشيخ المجرب وتجربة المُرِيدْ ثم تجربة المُرَدِدْ للمتن ''هنا الآن''؛ فالكثير من المتون تحاول الربط بين التجارب التاريخية والتجارب الآنية لتجعل منها ممتدة في الزمن مثل الأبيات الشعرية التالي:

قْرَيتْ بْلاَ كْتُوبْ مِنْ عَنْدْ الرَحْمَنْ مَزْيَنْــهَا يَا نَاسْ طَــاعَــةْ
سْقَانِيْ خَالْقِيْ بَالفَضْلْ وَلَحْسَــانْ بَنْمَارُوْا شَجَرْتِيْ رْفِــيْعَــةْ
هُــوْمَا لِــيْ طَــوْلُــوْ لْسَــانِي لَقْطَابْ يْدِيْرُوْا الشِيْــعَــةْ
البَاطِنْ يَعَرْفُوْهْ وَحْرُوفْ القُــرْآنْ مَاْ خَدْمُوْا كِيْ النَاسْ بَدْعَةْ

الملاحظ أن المنتجين للمتون الشفوية لهم نزوع إلى تَقْدِيسْ الماضي وقيمه، فالشاعر في المتن السابق يرى أن صحبته "لْصْلَحَاءْ" مكنته اكتساب دراية وفطنة وجعلت منه شاعر بدون المرور بمؤسسات للتعلم والتمكن من الكتابة، المتن السابق محاولة لتأسيس وبناء تصور ووعي غير منفصل عن المرجعية التاريخية-الماضية؛ يحاول الشاعر المنتج للمتن والأشخاص المرددون له "الآن" أن يبنوا أن ملازمة الفاعل الديني يمكن أن توصل الأفراد إلى إمتلاك تجارب فريدة مشابهة لتجارب الفاعل الديني، يقول أحد الشباب في الوسط المحلي "الصلحاء هوما لِيْ طَوْلُوْله لْسَانِهْ؛ صُحْبَتْهُمْ تْدِيرْ الشِيْعَةْ."

المتون الشفوية تتميز بالاعتقادية والأسطورية إذ أنها تجمع بين العديد من الفاعلين في زمن واحد، وهي تزخر بالأحداث الخارقة (الكرامات) مثل المتن التالي الذي يتحدث عن فاعلين دينين ينتميان إلى أزمنة متباعدة اجتمعا لإنقاذ طفل واستجابا لدعوة امرأة بالجنوب الغربي الجزائري؛ يقول أحد الشباب بالوسط المحلي: "مْهَايَاْ مْرَا طَاحْ وَلْدْهَاْ فِيْ بِيْرْ وَلْغَاتْ (نادت) وْقَالَتْ يَاْ بُوعْمَامَةْ، فِيْ لَحْظَة؛ فِيْ رَمْشَاْتْ عَيْنْ، جَهَا عبد القادر الجيلاني والشيخ بوعمامة وْسَلْكُوهْ مِنْ البِيْرْ" تم تخليد الحادثة في البيت الشعري التالي:

وَأَنتَ سَلَّاك فِي البَر وَالبحَر وَترُد لِـــي جَانِي جمـــيع لِـــي زَقَا عليك جَبتُوا مَن كُل بلَاد.
ولَد مهَايَا جَبتُوا مَن البحَر ذاك لي نْقـــصَانِي عَندَك بَحر الطُوفَان كِي لِي قَاطَع سَاقيَة الوَاد
لَحظَة اِرسَلـــتُوا قـــطَايَا ولَات رّوحَـــانِـــي فِي رَمشَات العَين جَابتُوا لأُمّوا فِي لَـــوتَادِي.

بينما قصة أخرى لنفس الحدث تم الحصول عليها في الميدان لها نفس الخاصية وتم تخليدها من طرف نفس الشاعر السابق يقول أحد المبحوثين: "مْهَايَاْ عَنْدهَاْ وَلْد مُجَاهِدْ كَانْ يْقَاوَمْ فِيْ الإِسْبَانْ، قَبْضُوهْ وْسَجْنُوهْ، جَاتْ أُمَهْ لْعَنْدْ الشِيخْ بُوعمَامَة، طَلَبَتْ مَنَهْ يْسَلَكْ وَلَدْهَاْ، قَالِلْهَاْ الشِيخْ أَمْرِكَ مَقْضِيْ، وْفِيْ وَاحَدْ اليُومْ وَلْدهَاْ شَافْ حَاشَاكُمْ، كَلْبْ، بْقَىْ يْطَارَدْ فِيهْ وَبْلاْ مَا يْحَسْ لْقَا رُوحَهْ عَنْدْ أُمَهْ"

بَكْرِيْ جَاتْ عْجُوزْ لِيكْ مْـــهَايَاْ عَنْدْ الرُومْ وِلْيْـــدهَاْ يَتْمَرمَـــدْ
جَـــابَتْ عَشرْ جْمَالْ لِيكْ هْدِيَةْ كُـــلْ جْمَلْ مْلَيَانْ قَمْحْ مْزَرَدْ
وَتْـــنُـــوحْ بَـــدْمُـــوعْـــهَا ذَرَايَاْ غِيْرِ شِيرْ وَلِيْ طْلَبْتْ يُـــوجَدْ
وَلَدَكْ فِيْ سَاعَة يْـــكُونْ هْـــنَـــايَاْ خَـــفْ مَنْ العَيْطَةْ وَلْمَحْ الثَامَدْ

يحاول أتباع الأولياء والصلحاء إشاعة الكرامات والقصص المناقبية، يربطون بين الأحداث، الفاعل التاريخي وبعض الأفعال الخارقة للعادة "لا يهم إن كانت أحداث وقعت أم لم تقع، سواء كانت قصة بطولة خارقة أو تحريف أو ذاكرة مروية، يبقى الخطاب ضروريا" (رشيد بليل، 2008، 459) الكثير من النصوص تشير إلى وجود الأولياء كوسطاء يضمنون البَرَكَة و يتوسطون لمريديهم و متبعيهم و يضمنون قضاء الحاجات فكثير من الأضرحة في الوسط المحلي يشار إليها بالاسم "سُوْقْ الرِبْحْ" أو بعبارة "قَضَايْ الصْوَالَحْ"، تعتبر البركة لغزا وسرا من اسرار الشيخ وأتباعه فهي السر الشافي والحامي والحامل للنعم يمكن الوصول إليها من خلال التقرب من حاملها" (الزاهي، المقدس والمجتمع، 2011، 100؛ 101). كما أن "مسيري الأضرحة أي أحفاد الولي وأتباعه من طائفة المريدين الذين يعيشون من رأسماله الرمزي يحرصون على إشاعة قدرات جدهم وكراماته؛ المريدون يسهمون هم أيضا في تدعيم الرأسمال الرمزي للولي صاحب الضريح بروايات متجددة حول حاجاتهم التي قضيت ورغباتهم التي تحققت على يديه" (عبد الغني منديب، 2006، 150) وبهذا يعملون على تجديد الشفهيات والحفاظ عليها؛ وهو ما يجسده المتن التالي عن قوة الولي الذي تمكن من نقل شخص من مراكش إلى مكة لأداء الحج في ضرف قياسي وانتهى هذا الحدث الخارق حسب أحد المريدين بعهد بين الشيخ وطائفة من "الطُلْبَةْ" الذين أنكرو كرامته.

قصة المراكشي:

"وَاحَدْ الـــمَرَاكْشِيْ (من مراكش) بْغَاْ يْحَجْ، وْقَالْ؛ حْرَامْ وْلاَدِيْ نْحَجْ، بَصَحْ فِيْ آخِرْ لَحْظَةْ مْرُضْ، وْصْحَابَهْ الحُجَاجْ رَاحُوْا وْخَلاَوَهْ، قْصَدْ سِيْدْ الشِيخْ، زَارَهْ وْشْكَالَهْ هَمَهْ، رَدْ عْلِيهْ الشِيْخْ، وْقَالَهْ؛ صَالْـــحْتَكْ مَقْضِيَةْ، وَهْنَا يْقُولْ الشَعَرْ محمد بِلخَيرْ عْلَىْ **هَذَا الـــمَرَاكْشِيْ:**

وعَدت المرَاكـــشِـــي لِيـــهَا تَاوِيـــل وَلـــزَم يَقصَد سِيد لأُمَـــة
ورَزقُوا رَبِي سبَاب المَـــرَض طْـــوِيل ثُمَ عطُلْ بَهلَاكْ حَـــمَـــةْ

غدَأو الُحجَـاجْ وَهْـدَاوْ الـقَلِيـلْ وَوْلاْدَه وَنسَاهْ حُـرمَـةْ
منِين برَا مَا لـقَا لِلـشَرق دلِـيـلْ عَمَد وَ قـصَد بُوعمَامَـةْ
نُطَقلَهَ سِيدِي، الله، مَا هُـوش بخِـيلْ عُـمرُك لَا تَرَاك بحِشمَـةْ
الحَـاجَة لِـيْ جِيْتْ تَقضَات قُبِـيلْ وْرَبِيْ يَرْجَيْ كُـلْ غُمَـةْ
رَفـذُوا علَى الشَهبَة الخَطوَة فِيهَا ميلْ مَا هِـي خَفَتهَا حمـَامَـة

وْلَمَا رْجَعْ لَبْلاَدُوْ كَذْبُوهْ الطُلْبَةْ؛ جَابَلْهُم كَاخَطْ (ورقة) مِنْ مَكَةْ مَا آمْنُوهْشْ، وَهْنَاْ جَاهُمْ سِيْدْ الشِيْخْ وبَيْنْ لِيْهُمْ البُرْهَانْ وْوَرَاهُمْ الكَرَامَاتْ؛ وْمَنْ ذَاْكْ الـيُوْمْ عَاْهْدُوهْ يكُنُوْا خُدَامْ لِيْهْ؛ هَاذِيْ ثَانِـيْ يَتْحَدَثْ عْلِيْهَاْ محمد بِلْخَيْر وَيَقُولْ:

حِين لَقَاْ ثَمَةْ الطُلْبَة قَالُولُوا ذَا الرأي عِيْدُوْا جبَدلهُم عَنوَان كِتبَة مِن كَاغَط مَكَة بجُودُوا
خـــلَط لِلطُلبَة لقَاهُم فِي التَبدِيـل
وقـطَع بِيـهُم بِير ظَـلمَـة بعَينِي شَفتُوا معَ النبِـي وصِيـل
كِـيفَاه تقُـولُوا أَنـتُـومَـاَ رضَاوا الطُلبَة بسِيد الحَاج وكِيـل
لِلـغَـالِي يَـعـطُـوا الخَـدمَـةْ

V-العلاقة بين الشفويات القيم الدينية والمجتمع: تتفاعل الشفويات مع الكثير من النصوص –تتناص معها- كالنصوص الدينية، والنصوص الشائعة التي تلقى مقبولية واسعة لدى شرائح المجتمع، تعمل على حفظ الأحداث والوقائع الماضية؛ جل المتون التي يتم ترديدها في المجتمعات المحلية يمكن ردها إلى حقبة معينة أو إلى شريحة أو فئة اجتماعية بعينها، لكل لون منها تطبيقاته الخاصة وفاعليته ضمن فضاء لا تكاد تفهم إلا بالرجوع إليه. إذن هناك علاقة تفاعلية نسعى إلى فهمها؛ أي فهم النص الرجوع إلى الفاعل الاجتماعي- الديني أي سياقات الإنتاج ووظائف المتن "هنا الآن" لدى فئة المرددين له.

بعض المتون الشفوية وليدة نشاط المؤسسات أو هي معبرة عنها كالمؤسسات الدينية، يضمن "الوُسَطَاءْ" تناقلها، ديمومتها واستمراريتها، فهي تقدم تفسير لائق –حسبهم- للاجتماعي والديني وتشرح لهم مثلا: سبل "الخَلاصْ"، تسعى إلى ربطهم بنمط تدين خاص وبأخلاق، تحثهم على الالتزام بالطاعات ومكارم الأخلاق وهو ما يبينه المتن التالي:

يَا بْـنَـادَمْ رَبِـيْ وَصَـىْ عْـلَىْ الـزْكَاْ وَصْـلاَةْ الخَـمـسْ
عَسْ نَفْسَكْ بَالـعَـسَاسَاْ كِيْفْ نَجـعْ الحِيْفْ المَنْذُورْ
يَا بْـنَـادَمْ تُـوبْ لـمُـوْلاَكْ يَا الغَـافَـلْ ذَا وَادْ اذَاكْ
القْبَرْ وَعْذَابُوْا يَـرْجَـاكْ ليس نَاكَـرْ وَلاَ مُـنْكِيْـرْ

الوسطاء يحافظون عيها ويسعون لإنتاجها وإعادة إنتاجها، في الغالب تنسب المتون لهم وللفاعلين المتعالين- نقصد بهم "الوَلِيْ" و"المْرَابَطْ" والقائم على شؤون الديني مثل "المْقَدَمْ" الذي ينوب عن "المؤسس الأول" الوسيط يعمل على إدارة الفضاء المقدس (مثل الضريح) ويسعى لنشر "أسطورة التأسيس" بين الأفراد والجماعات، كل هذه النصوص معبرة عن أنماط التدين وقيم الجماعات الدينية على اختلافها، يمكن القول عنها أنها تقدم لمعتنقيها تصور عن الواقع، لا يمكن فهمها إلا من خلال فهم مضامينها وردها إلى مرجعيتها الاجتماعية وسياقها التاريخي، المتن الشفهي يرتبط بفاعلين أو مؤسسات ومنتجين للشفويات من جهة ومستهلكين لها من جهة أخرى، يجب الاعتراف بوجود طلب اجتماعي حولها وإشباعات منتظرة منها، تَقدم القوالب اللغوية الشفهية وجهة نظر منتجيها ومعتنقيها لتحددة لهم أشكال للكلام وأنواع من القيم لها معنى خاص يتبعها سلوك محدد. إذن هناك إنتاج للنصوص وللحدود الاجتماعية التي يجب الركون إليها، بعض النصوص تسعى إلى إنتاج معاني محددة حول الممنوع-المحرم، الطابو والمباح؛ مثل القصة التالية التي تعبر عن تحالف قبيلتين أو بين ولي صالح وآخر نتج عنه تحريم المصاهرة بينهما إلى اليوم. يقول أحد الشباب "أحْنَاْ خَلاوَلْنَاَ الْصَالِحِينْ وْصَيَاْ، مَنْ بَكْرِيْ، قَلُونَا بَلِيْ حْنَاَ وَالعَرْشِ الآخر خَاوَا (إخوة)؛ الصَالِحِيْنْ تْعَاهْدُوْ مْعَ بَعْضْ؛ وْمَنْ ذَكْ اليُوْمْ مَاْ نَتْزُوْجُوْشْ مْعَاهُمْ، وْمَا يَتْزَوْجُوْشْ مِنَاْ؛

مَاْ نَتْبَايْعُوْشْ، وَلِيْ تْزَوْجُوء مَنْهُمْ مَتَزْدَقْشْ الذَرِيَةْ، وَلِيْ شْرَاْ عْلِيْهُمْ مَتَزْدَقْلَهشْ الحَاجَة؛ يَعْنِيْ لاَزَمْ نَتْبَادْلُوْ بْلاَدْرَهَمْ وَالزْوَاجْ مَكَانَشْ بِيْنَاتْنَا" الأفراد بالوسط المحلي يخشون الوقوع في الممنوع (المحظور) ومخالفة التعاقدات التاريخية مثلا هذا الشاب يسمي الولي الصالح بالعبارة التالية "السَادَاتْ" ويقول؛ "السَادَاتْ رْضَاوْ" أي أنه يقر بكل ما نقل عن "الولي" وبكل ما ورد في هذه المتون التي تحيل إلى سياق تاريخي ينظر إليه على أنه ممتد إلى "الآن".

المتن سواء كان في شكل قصة أو أسطورة أو مثل شعبي يمكن اعتباره كتصور إدراكي؛ يجمع بين عدة تصورات تؤسس للتجربة المتسامية-المتعالية؛ في حالة الشفويات الدينية فإن تجربة المنتج "العِرْفَانِيَة" تعوض تجربة المتداول للمتن تعتبر كنموذج سلوكي مثالي مرغوب، يسعى الوسطاء من خلال الشفويات إلى الربط بين الموضوعات الاجتماعية "هنا الآن" والتجربة الماضية ليتم تعميمها مما يعطيها ديمومة في الزمن وقوة في الطرح ويسهم في تكوين الأنساق الفكرية للجماعات الاجتماعية الدينية التي تتبناه كمقولات تتواتر في مواقف محددة تشبه الموقف الذي أنتج فيه المتن أول الأمر. مثلا في الأبيات الشعرية التالية يرى المردد للمتن-هنا لآن- أنه مرتبط بتجربتين ناجحتين أولهما تجربة الشاعر وثانيهما تجربته الشيخ المتعالية لأنه رجل صالح.

الــرَاكَبْ فُوقْ السْبَعْ مَاهُــوشْ ذْلِيْــلْ مِنْ خَالَطْ سُلْطَانْ يَدْمَــىْ
بِيــنْ كْــتَافِيْ سِنْجَاقْ الــشِيْخْ طْوِيْــلْ زَاهِــيْ بِيهْ شْــنَاْ وْهَمَــةْ
مِنْ عَرضْ الدُنْيَا ضْوَىْ فُــوقِيْ قَنْدِيْــلْ حُــرْمَةْ سِيْدِيْ يَا الفَهْمَةْ
وَغْرَسْتْ جْنَانِيْ عْلَىْ سَاقْــيَتْ السِيْــلْ وَخْضَارَتْ لَغْصَانْ بِالمــَاءْ
وَرْزَقْــنِيْ رَبِــيْ شْــبُوبْ بْــلاَ تَهْلِيْلْ نْسُوقْ الرِيْحْ بْلاَ نْدَامَــةْ

على الرغم من أن الشفويات تحمل تصور عام وتسعى لتقديم تفسيرات جاهزة اختزالية للوجود، إلا أنها على علاقة مباشرة بالمعاش وبالحاضر؛ لأنها تُصور وتصف الرباط الاجتماعي والعلاقات الاجتماعية، تعمل على تقديم معرفة عن الواقع (أي أنها وحدات معرفية لغوية) على علاقة بكل المقولات والنماذج التي تشبهها (المتون تكمل بعضها البعض) ويمكن القول عن أي قالب لغوي على أنه مجرد تفريع عن قالب سابق وآخر لاحق يدعمه (و هو ما تم ملاحظته في الميدان) أي أن هناك مقولات أساسية وأخرى فرعية تتولد عنها بحكم الاستخدام والتداول لذا يجب الاهتمام بالمفردات المتداولة-المتلفظ بها ضمن سياقات تمكن الباحث من فهم الاجتماعي، الثقافي والديني (تعتبر المتون الدينية كسنن-شفرة جاهزة تحتاج إلى تحليل).

تعتبر الشفويات كتوحيد للتصورات والتمثلات تنتج دلالات فارقة تتميز بالتكثيف والاختزال مما يعطيها دلالة ومعنى خاص شائع متفق عليه؛ أي أننا أمام حقل من التصورات ومجموعة من المقولات الدلالية الغاية منها التعبير عن القيم ومرافقة كل السلوكيات؛ هي عبارة عن نظام من المفاهيم والمعاني المنطقية بالنسبة للمتداولين لها، يَعتَقِدُ جزء مهم من فئة الشباب بالوسط المحلي-مثلا: أن المتن موضوعي، حقيقي ومعقول، ناتج عن خبرات متراكمة صادقة دوما، الشفويات جزء مكون للنسق المعرفي، هي عبارة عن متتاليات مرتبة وصلت إلينا من منتجين متعالين (مثل الولي الصالح). يحولها التداول إلى قيم يجب أن يتماهي معها الأفراد (هناك شبكة علائقية يثيرها المتن مع غيره من النصوص المكتوبة وغير المكتوبة) ويستمد شرعيته منها ومن منتجها الأول الذي ينتمي إلى الحقل الديني.

VI- المنتجون للقيم (الفاعلون):

VI.1- الوَلِيْ: "هي صفة كل من تجرد من علائق الدنيا وانقطع لعبادة الله وفني فيه وحدثت على يده الخوارق والكرامات، من صيغة مبالغة "فعيل" يكون معناه من توالت طاعته من غير تخلل معصية، وهو الذي يتولى الحق سبحانه حفظه وحراسته على الإدامة والتوالي فلا يخلق له الخذلان إنما يديم توفيقه الذي هو قدرة الطاعة" (فوزي وجدي، 818) هو

العارف بالله وبصفاته، المواضب على الطاعات والمتجنب للمعاصي المعرض عن الانهماك في اللذات والشهوات (نور الدين الزاهي، بركة السلطان، 2007، 7-8) " ينظر عامة الناس إليهم على أنهم علماء وعارفون بأمور الدين، أي عارفون: "يلعبون دورا هاما لأنهم يفسرون رسميا نسق القيم التي تخضع لها جماعة المؤمنين، هم أهل الحل والعقد، المؤتمنون على المشروعية؛ يمكنهم تزكية السلطة قائمة" (ليليا بنسالم، 1988، 44) قاموا بالعديد من الأدوار والوظائف التاريخية.

2.VI- الــمُرَابِطْ: هم أفراد تشبهوا بالفاعلين تاريخيين أي المرابطين؛ "ربطوا انفسهم وحبسوها عن الشهوات وكَفُوهَا ومنعوها من ارتكاب المحرم، لذا تشبهوا بالمرابطين فاطلق عليهم هذا الاسم "أمْرَابْطِينْ" (الطيب بن مختار الغريسي المختار، بدون سنة نشر، 392) الــمُرَابِطْ هو "الذي رَابَطَ؛ وواظب على الأمر ولازمه يشبهون المُرابِطين الذين لازموا الثغر، لذا يجب على المريد التشبه بهم وملازمة شيخه، والغاية هي التماهي والالتزام والمواظبة على سلوك محدد، وتأسيس نوع من الرابطة المعنوية تضمن امتدادية النموذج. الأفراد ملزمون أيضا بالإقامة على نهج هذا الفاعل. يتم تداول الكثير من المتون الشفوية عنهم وعن سيرهم لتثبيت استجابات سلوكية لدى الأفراد "هنا الآن" أي خلق مجموعة من الطباع والنزعات الفردية وتنميتها من خلال تتبع نموذج وقدوة، والغاية من ذكر مناقبهم تعزيز سلوكيات محددة مثل القدرة على التكيف بسرعة، غرس واستبطان استعدادات محددة، إلحاق التجربة الفردية بالتجربة الاجتماعية وهو ما تبينه المتون التالية؛ الــمُؤْمَنْ تَابَعْ مَشِيْ بَادَعْ، لِــيْ دَارْ شِيْخَهْ كْتَابَهْ كْثَرْ غَلَاطَهْ وْقَلْ صْوَابَهْ، يسعى المتداول للمتن الشفهي إلى تعميم التجارب التاريخية للولي والمرابط ويحاول أن يجعل منها تجارب ناجحة، كما أنه يسعى إلى توحيد التصرفات، وبناء التوقعات والاستجابات للوصول إلى التماسك والتوازن الاجتماعي لتعويد الأفراد على شرطية لغوية تتبعها شرطية سلوكية، على الرغم من أن المرابط يحيل إلى البعد التاريخي-الجهادي-(الثغور، المقاومة، المستعمر) إلا أن المتون اليوم تستعير من هذا الحقل الدلالي الكثير من المفاهيم.

3.VI- الصَالِحْ: "صالح تعني في اللغة العربية مُصلِحْ أي من يقوم بفعل الخير" (نور الدين طوالبي، 1988، 139) غير أن الباحث حسن رشيق يوسع من هذا المفهوم فيقول بأن الصَالِح هو فاعل "لم يُفوض بطريقة رسمية أو مهنية، كما لا يخضع لعمليات انتخاب من طرف الجماعة، إنه شخص مُفَوَض من غير مُفوِض مباشر، الصَلَاحُ هو الشكل التاريخي المميز الذي اتخذه الإصلَاح، والصَالِحُ ما هو سوى الاصطِلاح الذي عبرت من خلاله بنية المجتمع عن المُصلِح أي عن الشخصية المفوضة للإصلاح بطريقة رمزية؛ لإصلاح الخلق والمجتمع" (نور الدين الزاهي، بركة السلطان، 2007، 49) يرى الباحث أنه يتميز بصفات متعددة؛ يحظى بالتقدير والاعزاز، وهو محل تكريم، "يتحدد الحقل الدلالي للصَلاح باعتباره مقابلا لصَلاحِ الخلق" (نور الدين الزاهي، بركة السلطان، 2007، 7) " الصالح على اتصال دائم بالمقدس "أي بكلام الله مما يحوله من فرد عادي إلى فاعل مالك لرأسمال رمزي ولسلطة رمزية "(نور الدين الزاهي، بركة السلطان، 2007، 55) معترف بها في المجتمع المحلي بل ويتحول إلى نموذج يقتدى به.

4.VI- وظائف الفاعلين الدينين: وظيفتهم الأساسية هي الاصلاح؛ "إن إصلاح الأخلاق؛ التي ليست شيئا آخر غير إصلاح المجتمع والخروج به من وضعيته الفساد إلى الصلاح، إن عملية الاصلاح هي عملية هدم وبناء" وهو ما تجسده "القصة المناقبية الخارقة التي تبدوا كإنتاج أدبي مرتبط بالحركة الدينية، هذه الحركة الدينية "الــمُرَابِطِيَة" مقترنة بإنبثاق ظاهرة قداسة الأولياء" (رشيد بليل، 2008، 22) "يتخذ الإصلاح صيغة تجديد ديني، كما يتخذ صيغة إعادة ترتيب لمتغيرات الحقل الديني والتي ليست سوى إعادة ترتيب لمصادر وأسس الشرعية السياسية" (نور الدين الزاهي، 2007، 14) "لقد عمل الصلحاء –تاريخيا- بطرق متعددة لتأجيج الجهاد، حرضوا القبائل ومولوا وعبئوا الناس، رابطوا في الثغور، جاهدوا المستعمر"(نور الزاهي، بركة السلطان ص59) لهذا فإن الذاكرة الجمعية لا زالت تحفل بهم؛ كما أنهم "جمعوا بين الجهاد والصلاح مما أكسبهم سلطة على الناس وأضفى على أفعالهم طابعا كارزميا، أي أسس للثقة الكاملة بين الصالح والناس، هاته الثقة تجسدت عبر اضفاء الطابع الميثولوجي على كل أو جل سلوكياتهم" (نور الدين الزاهي، بركة السلطان، 2007،

59) الصالح متميز عن غيره؛ "فهو قادر على صد الحيوانات الضارة والمفسدة للمحصولات، يعرف أسرار الناس ويكشف عنها، يعالجهم ويساعدهم على حل توتراتهم الأسرية ويساعدهم على تجاوز صعوبات السفر، إنه يمشي فوق الماء ويطير في الهواء، يحمي الناس من المجهول، كما يضمن لهم تماسك جماعاتهم وأسواقهم ومواسمهم ويفصل في نزاعاتهم وينصر جماعة على أخرى" (نور الدين الزاهي، بركة السلطان، 2007، 60) بهذه الأفعال يوثوقون تجذرهم في الوسط المحلي، لكن الملفت للنظر أن المرددين للمتون الشفهية اليوم يجمعون بين الحدث التاريخي الحقيقي الموثوق والحدث الخارق والأسطوري، لإنتاج صورة عن الدين والتدين وعن الفاعل الاجتماعي التاريخي.

VII- مرجعية ودور المتن الشفهي: المشافهة والمنظومة القيمية "الآن" ناتجة عن نشاط أفراد فاعلين ونشاط مؤسسات على علاقة بالدين والتدين؛ الكثير من النصوص تحفل بذكر الكرامات على أنها "منبثقة عن "الأولياء" "الصُلحَاء" كفاعلين اجتماعيين تاريخيين؛ لهم العديد من الأدوار والصفات التي لا يمكن إنكارها "فهم المؤيدون بالكرامات؛ سواء في حياتهم أو مماتهم، ساهموا في تمتين العلاقة بين المؤسسة الدينية والمريدين والأتباع" (خالد محمد، 2010، 279) النصوص تؤرخ للدور البارز الذي لعبه الفاعلون-الدينيون، الاجتماعيون؛ كما أنها ترتبط بأساطير التأسيس، وتصف جل أشكال التحالف الماضية مثل التحالفات الدموية؛ التحالفات الناتجة عن المصاهرة والنسب والمؤسسة للعصبية-الرابط الاجتماعي وللجماعات الاجتماعية مثل: "العَرْشْ" "الفِرْقَةْ"، القَبِيْلَة" التي باركها أصحاب القوة الرمزية على اختلافهم (أي الصُلَحَاءْ). وهو ما نجده في القصص التالية التي تؤرخ للحظات التأسيس (التحالفات الاجتماعية). يقول أحد الشباب مبينا طريقة تحالف بين قبيلتين من خلال قصتين:

القصة رقم (1): "أَحْنَاْ جَدْنَاْ قْصَدْ وَلِيْ صَالِحْ جَبَرْلَهْ العَوْدَةْ (وضع لها جبيرة)، وْمَنْ ذَاكْ اليَوْمْ قَالَلْهُمْ؛ هَاذُوْا مَنِيْ وْأَنَاْ مَنْهُمْ، هَاذُوْ مَنْ ذُرِيْتِيْ، وْمَنْ هَذَاكْ اليَوْمْ وَلِيْنَا خَاوَةْ مْعَ وْلَادْ الوَلِيْ الصَالِحْ لِلْيُومْ، وْرَنَاْ نْدِيْرُ الوَعْدَةْ وْكُلْ شِيْ"

القصة رقم (2): "أَحْنَاْ جَدْنَاْ مِنْ عْمُورْ أَحْنَاْ أَصْلْنَا مِنْ عْمُورْ(منطقة بالقرب من الأغراط)، بَصَحْ خُدَامْ الوَلْيَا فِيْ تْيَارت، عْلَىْ خَاطَرْ فِيْ وَاحَدْ اللِيْلَةْ جَاْء (ولي صالح) طْلَبْ جَدِيْ بَضْيَافْ رَبِيْ؛ أَيَاْ سْتَقْبَلَهْ جَدِيْ، وَذْبَحْلَهْ بَلاَ مَاْ يَعَرْفَهْ، وْفِيْ النْهَارْ، قَالَهْ هَذَاكْ الضَيْفْ؛ يَالعْمُوْرِيْ دِيْرْ زْرِيْبَة كْبِيْرَةْ قَدْ مَا تْطِيْقْ، وْرَاحْ (يعنى غادر في حال سبيله) وْبَعْدْ مُدَةْ لْقَاوْ الزْرِيْبَةْ مْعَمْرَةْ غْنَمْ وْمَنْ هَذَاكْ الوَقْتْ وَحْنَاْ نَكَسْبُوْا الْمَاشْيَةْ، خَلاَنَا جَدْنَا وْضَيَاْ نَخَدْمُوْ هَذَا الوَلِيْ الصَالَحْ"

إن فكرة الانتماء للأصل الواحد "المؤسس الأول" لا زالت سائدة في المجتمع المحلي، وهي ناتجة عن الشعور بالانتساب الاجتماعي "لِلوَلِيْ" هذا الأخير الذي ينحدر من آل البيت، يستند الأفراد إلى القصص والمناقب لرد التشكيلة الاجتماعية و الأسر إلى جد أصلي مشترك. يرى الأفراد اليوم أن التشكيلات الاجتماعية كالأسرة والعائلة تتميز بالإنغلاق وتمييز عن غيرها من التشكيلات؛ يمكن أن تؤسس "للأنا الجمعي" و"للآخر الغريب"، انطلاقا من هذا التصور يرى الأفراد أن القيم ''الأنا'' تتميز بالغيرية ولا يمكن ''للغَرِيبْ'' عن هذه التشكيلة اكتساب قيم مماثلة لأنها انتقلت إليهم "وراثيا" بحكم الانتماء إلى "الشْرِيْفْ" أي الجد المؤسس للعائلة أو العرش، بالرجوع إلى الشفويات نجد تصنيفات خاصة "بالأنا" الجمعي، وتصنيفات خاصة "بالآخر" الغريب، يقابله نوع من الازدواجية القيمية.

تبين المتون الدور الهام الذي لعبه الفاعلون داخل البني الاجتماعية مثل، ترميم البناء الاجتماعي، هندسة الاتفاق الجمعي وخارجها هذه البناءات مثل؛ خلق تحالفات مع الآخر، بالإضافة إلى تأسيس معنى للسلالة والذرية. المتون على اختلافها تربط بين الآني، الراهن والزمن الماضي الممتد والفاعل الديني التاريخي، كل هذا لإعطاء معنى لفكرة الأصل؛ مثلا يتم استبدال "العصبية المجردة بالنسب الشريف المنبثق من آل البيت" (خالد محمد، 2010، 283) عرف المجتمع المحلي تاريخيا بناءات، مؤسسات وفاعلين وحركات دينية "تلك الحركات التي نصبت نفسها كمشروع إصلاحي وكبديل؛ "مما أدى إلى اكتساح التنسك والمرابطية للحياة الاجتماعية" (الهادي الهروي، 2005، 171) " المنتمون إلى هذه الجماعات تميزوا عن بقية أفراد المجتمع بالتمحور حول الفاعل الديني "الذي كان يقوم بالجهاد لذا احتل مكانة مبجلة في أوساط العامة

والخاصة" (الهادي الهروي، 2005، 172) تسعى المتون والمتداولون لها اليوم إلى الرجوع إلى هذه التجربة التاريخية على الرغم من انقضاءها أي أن المتون المستخدمة لها غاية واحدة هي التعبير عن الاجتماعي الآن. يتم الاستعانة بالشفويات لترسيخ تاريخ للمجال الحيوي المشغول وللقوة الجديدة التي حلت به وبنظامها القيمي، القائم على الازدواجية الولاء للقبيلة والولاء للمؤسسة الدينية، لذا فتركيز القوالب اللغوية على "الشيخ"، "المْرَابَطْ"، "الوَلِيْ" وكراماته وكل تلك الخوارق جاء لترسيم نظام قيمي-معياري- حول كل السلوكيات والممارسات. "نحن أمام تاريخ شفهي غير مدون في الغالب، موازي، "تاريخ كرامي؛ تحتل ضمنه سير الرموز الروحية بشخصياتها ممثلة في الأولياء حيزا كبيرا ضمن الركام الثقافي والحضاري للمجتمع ينتقل مشافهة عبر الأجيال المتعاقبة." (خالد محمد، 2010، 284) لازال يؤدي وظيفة ودور على الرغم من مرجعيته التاريخية، فدور المتون هو المحافظة على الذاكرة الجمعية وعلى أهم الأحداث الهامة في تاريخ الجماعة وهو ما يجسده المتن التالي الذي يوضح الدور الذي لعبه الولي الصالح (الشيخ بوعمامة أنموذجا).

سِيـدْ الشِيْخْ سَقَامْ الفُرْسَانْ مِـــنْ بِـيْـــهْ مْـعَمْرَةْ الفَرْعَـــةْ
شَفتُمْ مَاْ فعَل بْشِينِينْ الدِيوَان شْهِـــدتْ يَومْ غْرِيْ وَخْبَارْ فنـــدِيْ
عْيَاوْ يتَبعُوهْ بَمْحَالْ الَجرْذَانْ لَا عِبرَة لِيْهُمْ جْنَـــيسْ اليَـــهُـــودِيْ
عيَاوْ يحَاولُو يَعْطِيهُمْ لَامَـــانْ قَـــالَلهُم يَا أَهل كُمَة مِنْ البَارُودِيْ
عيَاوا يحَاولُوه بَثقَال الثَمَـــان قَالَلهُم شَهدُوا وخُـــذُوا مَا عَـــندِيْ

هناك مرجعية ثابتة وإحالة إلى فاعلين ينظر إليهم كمؤسسين للنظام الاجتماعي والحامين له، قاموا بأدوار كبيرا مثل ترميم البنية الاجتماعية والمحافظة عليها عن طريق خلق نظام قيمي مؤسس على قيمة "الشَرَفْ". النصوص الموجودة تسعى إلى تخليد ذكراهم؛ هي متون للتقدير والاحتفاء بالفاعلين الاجتماعين وبالتنظيم الاجتماعي. مثل قصص التأسيس، وقصص الكرامة وقصص الأولياء والصالحين تحفل بقيم "الشَرَفْ" تبين المتون أن البطل-الفاعل الديني- يحوز على الشرف من خلال الاتصال بالرسول عليه السلام، عبر سلسلة النسب، سرعان ما يُحَول إلى جد مؤسس للمجموعة الاجتماعية، خاصة بعد اجتماعهم به وارتباطهم بالمصاهرة معه (حتى أنهم يحملون اسمه)؛ مع مرور الزمن نلاحظ الاحتفاء به من خلال ممارسات لغوية وطقوسية للتذكير بسلسلة الانتساب-المرجعية- وتقوية التحالفات، وتمييزها عن غيرها من العلاقات، كل هذا يتم وفق نظام قيمي صارم لا يمكن أن نتجاهله تلعب فيه المتون على اختلافها دورا بارز.

يسعي الفاعلون اليوم إلى تداول المتون الشفوية، وهي عملية غايتها "استبطان منظم للتجربة الدينية ولنتائج هذه التجربة"، الغاية هي تجريد النفس عن النزوات والشهوات التي تعتبر هدامة غير مقبولة، أي الانتقال من الطبيعي إلى الروحي من خلال الممارسات اليومية، تعكس الكثير من النصوص الشفوية هذه الحقيقة، فالنصوص المنقولة تبين تجارب الفاعلين التاريخيين والتحولات التي مروا بها ينقل إلينا الباحث ديرمنغايم **Emile Dermenghem** (الأزهر الماجري، 2013، 55) تصور الأفراد حول تجربة الولي عبد القادر الجيلاني فهم يعتقدون بأنه "بلغ تلك المرتبة العليا من النفوذ وحاز على كل تلك الوجاهة، لكونه مر بدوره بتجربة غاية في المشقة والخطورة فقد قضى ثلاثين عاما واقفا على رجل واحدة" **(Emile Dermenghem, 1954, 21)** القصص المناقبية تبين أن هناك مسار طويل تكلل بتتويج بدرجة رفيعة "درجة الولاية والصلاح" كل هذا يمكن بلوغه من خلال الالتزام بقيمة التعفف؛ أي التقشف والامتناع عن إرضاء الحاجات والرغبات للوصول إلى قيمة الزهد" ذلك أنه فعل متاح للجميع فالزَهَدَ يعني الإعراض والترك، إذ "يقال زَهِدَ الدنيا أي ترك حلالها مخافة حسابه وترك حرامها مخافة عقابه، والزَهِدُ هو العابدُ" (ضيف شوقي، 2004، 403) والزهد يشير إلى كل ما هو "ضد الرغبة، أو البذخ والترف، ومن مرادفاته التقشف؛ سلوك طريق الحرمان الطوعي" (العلوي، 1988، 69) والمتن التالي يدعو إلى الالتزام بالقيم والعبادات وجهاد النفس للوصول إلى هذه الدرجة والمكانة:

سَوَلْنِيْ عَلَىْ الوْجَابْ لَوَلْ الصَــبْرْ خْــيَارَةْ الإِفَــادَةْ
إِذَا تَــحْتَــارْ فِالــمْسَايَــلْ مَــفْتَــاحْ الــدِينْ فَالــشْهَــــادَةْ
لِيْ زَكَاْ وْصَلَىْ مْفَضَــلْ كِالــلاَبَــسْ كَــسوْتُوْا جْــدِيْــدَةْ
جْهَادْ النَفْسْ هُوَ الطَايَلْ وَبْلِيْسْ عْــدَاوْتُوْ شْدِيْــدَةْ
وَالــنَفْسْ نْهُوْنْهَا مْسَبَلْ خَيْرْ مَنْ المَــالْ وَالقْــيَادَةْ

تقدم المتون "الوَلِيْ" على أنه "رجل تجرد عن شهواته وعن علاقته بنفسه وبالعالم وبكل من هم حوله" (الجندي، 2010، 220) نحن أم بناء لمعاني قابلة للتداول، قيم على علاقة بالتجربة الشخصية الماضية؛ تسهم في بلورة قيم "تنظيمية" تحكم جل الممارسات وفق نموذج خاص. إن ربط القيم بالمنتجين مثل الــمْرَابَطْ، الشَيْخْ والوَلِيْ هو محاولة لبناء وصناعة للخصوصية الثقافية والاجتماعية ونسق القيم والعلاقات الاجتماعية. تذكر المتون بأن المنزلة والدرجة التي بلغها الولي يمكن أن يبلغها المتداول للمتن، يكون له ذلك من خلال "إهمال الرغبات الجسدية كافة باعتبار أن اشباعها يحول دون السمو الروحي والديني" (شاكر مصطفى، 1981، 70) يتم الربط بين هذه القيمة وسلوك "التقشف"؛ وهو عبارة عن فعل ينطوي على الالتزام بنظام قاس في العيش بقصد التقرب إلى المعبود، وقد يشمل التقشف الامتناع عن تناول طعام (شاكر مصطفى، 1981، 76) أو الامتناع عن الملذات ككل. إن التجربة الدينية للولي الصالح تعتبر كنموذج يطلب من الأفراد التماهي معه؛ والمتن التالي يبين ما سبق.

عُمرِي مَا نَشقَى مَا نحِير وآخِيرت الدُنيَا فَانِــي وَأَنَا رزقِي مَضمُون مَا نعَانَد رَبِي بَعَنَادْ
ولِــي كَــاتبَهَا عَــالَم القــفَا لَازَم تَستَنَــانِي وَالِي مَاهُي فَالرزق مَا تجِي لَيَا مَا تَنْزَادْ.

تعتبر النصوص الشفهية كمشترك جمعي، تُظهر ممارسات، أفعال وقيم الفاعلين الاجتماعيين الذين يمثلون "مرجعية" المتون تعبر عن تجربة خالدة تنقل شفهيا، تلقى مقبولية لدى الأفراد، تربطهم بجملة من التكاليف والسلوكيات الواجب اتباعها؛ على الرغم من أن النصوص تراثية تاريخية إلا أنها تعبر عن سيرورة يطلب من الأفراد التماهي معها من خلال الالتزام بالأوامر ونواهي الواردة في المتن (الطْمَعْ يْخَصَرْ الطْبَعْ؛ لِيْ مَا قَامَهْ قَبْرَهْ يَرْقُدْ فُوْقَهْ، العَيْنْ مَاْ يَمْلَهَاَ غَيْرْ التْرَابْ"). كل ما هو موجود في المتن ملزم للمنخرطين في لعبة التداول الشفهي. إن المتون الشفوية التي تتحدث عن الرِبَاطْ ، المْرَابَطْ والوَلِيْ تؤسس للنموذج الذي يجب أن يقتدى به لأنه يجسد قيمة المحبة المحمودة، أما محبة الغير أي حب من يمكن إعالته أو من دخلنا معه في علاقة مشروعة، فهو مباح يؤسس لقيمة المحبة الثانوية؛ أما حب الشيء للجوهر الفاسد فهو مذموم لأنه يؤسس لقيمة المحبة الممنوعة، إذن النصوص تبين المحبة كقيمة، كموضوع، تابع لضوابط، وألى درجات المحبة تكون بحب أولياء الله والصلحاء وهو ما يجسده المتن التالي المتداول في المجتمع المحلي؛

بِلمحَبَة تِعمَر لَسوَاق كُل حُب حبِيبَه يَنذَاق لنَظرَة فِي القَلب ولَرمَاقَ نَحمَد الله حَــمدًا شَــكُور
المحَبَة تَــبغِي المِيثَاق وَأهلَهَا يزكُوا بِالتَصدَاق شَاش طَب القَلــب إِيلَا ذَاق فِي مقَام المَحبُوب يــزُور

تأتي السير لتثبيت قيمة المحبة وتربط بينها وبين مفهوم العهد، الذي يربط بين الشيخ والمريد؛ ومعناه الالتزام بشروط محدد للعلاقات "يُفرض على المتعاهدين الوفاء بعدد من الالتزامات تكون عواقبها وقيمتها محسوبة بكيفية مسبقة" (عبد الغني منديب، 2006، 64). تحول المتون الشفهية الفاعلين أي المرابط والولي حتى العارف والعالم الديني المحلي إلى نماذج يجب أن يقتدى بها، شرط ربطها بقيم أخرى مثل قيم؛ الإخلاص والصدق، ليتحقق الوصل بين الفاعل والنموذج الغائب المتمثل في الشيخ، والفاعل الحاضر أو من ينوب عنه "هنا الآن" (المريد، أو المتبني للقيم الدينية). من هنا يمكن أن نتحدث عن جملة من الممارسات والسلوكيات الآنية؛ يمكن معاينتها وملاحظتها وحصرها، مثل الطقوس والسلوكيات الناتجة عن تتبع سيرة السلف واستحضار لصورته وتبنى لما أقره على الرغم من عدم وجوده "هنا الآن" النصوص الشفوية تؤسس

لنوع من الرابطة المقدسة بين "نموذج تاريخي غائب ونموذج سلوكي حاضر" العينة المدروسة ركزت على مبدأ "التَخْلِيَةْ والتَحْلِيَةْ" تخْلِيَة القلب من الرذائل وتَحْلِيَتِهِ بالإيمان؛ ما يهمنا أن هذا التصور في حد ذاته مولد لجملة من القيم من خلال استحضار صورة معينة تعمل كآلية كرقيب على الآني؛ مما يضمن ديمومة هذه القيم وديمومة سلوكيات معينة (لدى معتنقيها ولدى المؤمنين بها) لا يمكن فهم معناها إلا من خلال ردها إلى المقدس وإلى الجماعات المنتجة لها.

الفرد بالوسط المحلي يعتقد بمبدأ "الحضور" فحضور الخيالي إلى الواقع غير قابل للتكذيب، هذا الحضور هو ربط مع المؤسس الأول، المنتج للقيم التي يجب أن تسود وتظهر في السلوك اليومي؛ هذه العملية بالمعنى السوسيولوجي إعادة إنتاج لنظام قيم محدد من خلال استحضار "للشيخ المؤسس" وتماهي مع سلوكه لأنه نموذج متعالي.

كل ما صدر عن المنتج للقيم يعتبر كقانون ملزم للأفراد الذين ينتمون إلى التشكيلة الاجتماعية أي أنه يمكننا الحديث عن بنية اجتماعية وعن فعل تنظيمي، وعن وجود مبادئ وضوابط لا يجب أن يحيد عنها الأفراد، على اعتبار أنها مقدسة وملزمة، في جلها يمكن ردها إلى المنتجين للقيم أي الوَلِيْ أو المْرَابَطْ، في كل موقف اجتماعي يستدعي الأفراد النصوص الشفوية كمبررات أو كشواهد تبين الانتماء للمؤسس الأول، دوره ومكانته الاجتماعية. كما أن البنية أو التشكيلة الاجتماعية اليوم تَدِينُ في وجودها للأشخاص المنتجين للقيم؛ المنتجين الروحيين، والدليل على ذلك صيغ التقديس للفاعل الديني وللزعامات التاريخية من خلال حفظ مآثرهم شفهيا وترديد سيرهم ومناقبهم، كما أن الأفراد بالوسط المحلي يعتقدون بأنهم ينتمون إلى شبكة علاقات الاجتماعية ذات طابع خاص أسسها الولي الصالح يجب على أحفاده اليوم المحافظة عليها.

لا يمكن فهم هذه السيرورة إلا بالرجوع إلى الدور الحاسم الذي لعبه "المــرَابَطْ، الوَلِيْ، الشُرْفَاءْ" داخل التنظيم الاجتماعي والمكانات التي أسندت إليهم، كفاعلين منتجين للمعايير والقيم وكقائمين على سلطة الضبط، على اعتبار أنهم يجمعون بين السلطة الروحية، الاجتماعية والسياسية، كما أن التشكيلة الاجتماعية اليوم لازالت "وفية للنظام السلطوي العائلي الشَرِيفْ" يرى الكثيرون في المجتمع المحلي أن المنتجين للقيم التاريخية مؤسسين للتنظيم الاجتماعي؛ مما يؤدي إلى ديمومة مفاهيم مثل القَبِيْلَة، العَرشْ والفِرقَة، الملاحظ هو شدة التمسك بمآثر الأسلاف والأجداد؛ ووجود قناعات وشبه اتفاق حول دلالتها الاجتماعية، مما يعطي معنى لجل الممارسات الطقسية، والشعائرية والممارسات المتعلقة بالتكافل الاجتماعي، ويعطي ديمومة لأفعال الاجتماعية والنظام القيمي.

حافظت الكثير من التشكيلات الاجتماعية على النصوص الشفوية المتعلقة بلحظات التأسيس وشرعية الانتماء للمؤسس؛ تخضع المشافهة للاستخدام اجتماعي وتُستَغَل للحفاظ على السلطة الدينية والأخلاقية، الذاكرة الجمعية، القيم والمجال الحيوي، بعض الممارسات تستمد شرعيتها من المتون الشفوية؛ ترى بعض الجماعات بأنها وحدها دون غيرها، مؤهلة للقيام بالطقوس والممارسات الدينية الشعبية الجمعية؛ مثل أحفاد الولي الصالح أو "المْقَدَمْ" هذا الأخير الذي يتكفل باستقبال الزائرين للولي، ويسهر على ديمومة أشكال التكافل المعروفة ويستغل مكانته (وجاهته) لحل الصراعات الموجودة أو الممكنة لأنه تحصل على الموافقة من المؤسس الأول، ولازال هذا العهد بينه وبين المؤسس للقبيلة قائما إلى اليوم، على شكل متن شفهي؛ على الرغم من أن هذه النشاطات تكاد تفقد زخمها التاريخي وعلى الرغم من التغيرات الكبرى على المستوى الاجتماعي إلا أن هذه الممارسات لا زالت قائمة لأنها تستند إلى متون شفهية ومعاني لم تفقد دلالتها ولا معناها، خاصة أن هذه التشكيلات الاجتماعية غير رسمية مستقلة نسبيا عن التنظيم الاجتماعي الكلي، لهذا فهي تؤسس لشرعيتها من خلال استدعاء المتون الشفوية، مما يضمن ديمومة السلوكيات.

يرى الكثيرون في المجتمع المحلي أن التشكيلة الاجتماعية تتميز بوحدة الانتماء "للجد المؤسس"، يشعر أفرادها بالانتماء لأصل واحد مشترك؛ مما يُوَحِد التصورات ويقوي التنظيم الاجتماعي ونظام القيم؛ كما أنهم يعتبرون المتون الشفهية كأساس معياري منظم للشأن العام والخاص ودور المشافهة في هذه الحالة هو تبرير التراتبية الاجتماعية. لا يمكن تجاوز المتون الشفهية لأنها تتميز بالديمومة والتكرار، تربط الأفراد بالمعاش الاجتماعي المشترك، وتعزز روح الانتماء

والتضامن، الذي يتم تقويته من خلال تذكر مناقب وقصص الصُلَحَاء وبالزيارات المتكررة للولي ليتجدد عهد الانتماء والولاء.

النصوص الشفوية المتداولة بالوسط المحلي "تُمَجِدُ" المقدس والفاعلين الدينيين، تربط الأفراد بالممارسة والطقوس، تُعرف بالولي وبقدراته اللامتناهية؛ نلاحظ مثلا؛ وجود ترديد للمتون التي تبين القوة الخارقة للولي، لتحويلها إلى قدرة تتميز بالديمومة والاستمرارية في الزمن والمكان، هذا الترديد للمتن الشفهي يعرف من جهة بالمؤسس الأول ومن جهة أخرى يعجل بظهور طلب اجتماعي محموم حول "بَرَكَتِهِ" التي لا يمكن الحصول عليها إلا من خلال التردد على الفضاء المقدس، فالبَرَكَة بهذا المعنى هي مصدر قوة الولي وهي التي تربط التشكيلة الاجتماعية بالمؤسس الأول وتعطي الشرعية للأفعال، الممارسات والقيم. تُذْكَرُ البَرَكَةُ في المتن الشفهي لربط الأفراد بالمؤسس وبشبكة العلاقات. إن ترديد المتون الشفهية يعتبر كرجوع لرابطة يجب تقويتها بالتَذكُر الاستدعاء، ثم الامتثال لها؛ وبالتالي تقوية الانتماء للمشترك.

النصوص عبارة عن قيم تنظيمية للمتداولين لها وللمنخرطين في التشكيلة الاجتماعية. المتون خطاب معياري قيمي، الغاية من تداوله إنتاج رؤية خاصة حول المقدس والفاعلين فيه (سواء كانوا حاضرين أو غائبين) يطلب من الأفراد الاستجابة لأوامر ونواهي المؤسس الأول كقيم مرجعية يجب طاعتها والولاء لها. المتون تجعل من الفاعل التاريخي "المؤسس للسلالة" نموذجا لكل شيء؛ نموذجا للورع، الزهد، الكرم والتدين، نموذج متعالي مبني على الرمزية، مما يجعل الممارسات مهما كانت مضبوطة وموجهة نابعة من روح التقديس، لهذا يمكن رد النشاطات الاجتماعية كالتعاون وأشكال التضامن إلى نمط التدين، كما أن هذه النصوص التي تربط بين التشكيلة الاجتماعية والمؤسس الأول تعمل على ربط المصلحة الفردية بالمصلحة الجمعية؛ ينظر إلى الفرد على أنه ملك للتشكيلة الاجتماعية.

VIII- الوَلِيْ كمنتج للقيم:

الــوَلِيْ؛ يرتبط بمعاني مثل؛ الحماية والكفالة والنصرة؛ له علاقة اجتهاد في الطاعة تبوء صاحبها منزلة متميزة عند الله فكلما ازداد العبد طاعة ازداد تقربا من الله وعُرِفَ به؛ هي درجة إيمانية رفيعة؛ تمكنه من أن يتصف بكمال الأخلاق واستقامة السلوك فيصبح رمزا روحيا" (بثينة الجلاصي، 2008، 413) جل النصوص –حسب الأفراد- ترتبط به لهذا يعتبر كنموذج يحاول الفاعلون أن يُشِيْعُوهْ، الولي مرتبط بالمقدس الذي يقف في مواجهة الدنيوي (المدنس)، ودوره هو الحفاظ على النظام المادي والأخلاقي، فهو فاعل مقاوم لكل ما هو دنيوي أي أنه فاعل متعالي مقاوم للشر والفوضى والموت.

هي صفة كل من تجرد من علائق الدنيا وانقطع لعبادة الله وفني فيه، لذا حدثت على يده الخوارق والكرامات؛ يرتبط معناه "بمن توالت طاعته من غير تخلل معصية؛ هو الذي يتولى الحق سبحانه حفظه وحراسته على الإدامة والتوالي، فلا يخلق له الخذلان إنما يديم توفيقه" (وجدي، دائرة معارف القرن العشرين، 818) لهذا تجري على يديه الكرامات التي تحفل بها جل المتون المناقبية؛ قد تكون الكرامة اجابة لدعوى وقد تكون إظهار لطعام في أوان فاقة، من غير سبب ظاهر أو حصول ماء في زمن عطش أو تسهيل قطع مسافة في مدة قريبة أو تخليص من عدو أو سماع خطاب من هاتف أو غير ذلك من فنون الأفعال الناقضة للعادة (وجدي، دائرة المعارف القرن العشرين، 818). إن استدعاء المتون وقصص الكرامة الغاية منه نشر جملة من القيم وجعل الأفراد يرتبطون بفاعل ديني وبمرجعية. يعتبر كل من المرابط والولي كمنتج من الدرجة الأولى أما الراوي المتداول للمتن ''هنا الآن'' يعتبر كمنتج من الدرجة الثانية، يستعين بالمتن التاريخي، ليرفض القيم الاستهلاكية الاستعراضية التي تسود المجتمع المحلي، نلاحظ بأن كل من الراوي والمردد أو المتداول للمتن يحاولون التماهي مع الديني والمقدس؛ يجعلون من الدين معيارا فاصلا يحدد المكانات ويبررها، "من خلال هذا التصور يتم الفصل

بين شخصيات متدينة ≠شخصيات غير متدينة" (عبد الملك مرتاض، 1995، 64) وبين فاعلين دينين منتجون للقيم معتنقين لها من جهة وأفراد وفاعلين آخرين من جهة أخرى بعيدون عن الدين والقيم.

نلاحظ أن هناك ميل لتصنيف ولتوجيه الأفعال والسلوكيات والفصل بين المحظور وغير المحظور حتى في حلات عدم وجود سبب عملي، منطقي يربط بين الفعل، السلوك والتحريم والمنع. منع السلوكيات موجود لسبب، إذ يَعتقِد الأفراد في المجتمع المحلي بقوة الأشياء ووجود جوهر كامن هو أساس للتحريم والمنع. نلاحظ أنه يتم استدعاء المتن في مواقف محددة لتذكير الأفراد بأن اختراق الممنوع والمحرم يترك أثرا بالغ على الأفراد. سوسيولوجيا يمكن القول بأن الغاية من استدعاء الشفويات هو التقليل من بعض الأنشطة مثل الاتصال الجنسي وتوفير مبادئ ومعايير للحياة الاجتماعية، وخلق قيم للتوكيد وتجديد أشكال التضامن -المقنن- من خلال محاربة الرغبة والميل للإشباع لذة فردية؛ نلاحظ أن الممنوعات تقابلها بدائل مسموح بها؛ المتن عبارة عن أفعال متتالية، تتابعها يؤدي إلى التوازن، المتون تشير إلى الوقوع في الممنوع انتهاك المحرم من طرف الفاعل-البطل، ليصل إلى مرحلة الندم، ثم مرحلة القيام بعكس السلوك الأول والوصول إلى مرحلة التطهير، المتن يوفر مضامين ازدواجية تفصل بين نوعين من الأفعال ونوعين من القيم. فنون الحكي في المجتمع المحلي تسعى إلى تنظيم الأفعال مما يوفر للأفراد بدائل سلوكية مضبوط والغاية هي إعطاء معنى للاجتماعي.

بالرجوع إلى الاستخدام الاجتماعي للمتون الدينية نلاحظ وجود شعور جماعي بأن الأفراد ككل عرضة للخطر في حالة قيام فرد واحد بانتهاك المحظور، أي أنهم يربطون بين الفردانية وارتكاب المحظورات؛ لهذا يتم رفض السلوكيات الأنانية. إن الإفراط في التأكيد على هذا النوع من المتون يخدم غاية ويؤدي وظيفة مثل؛ غرس وتعزيز قيم جماعية مشتركة، تتحقق من خلال نفي النزعة الفردية ونفي الميول الإيروسية نحن أمام لغة تسعى إلى قمع منظم، ممنهج للنزوات والشهوات؛ لذا يجب حسب المنتجين للمتن والمرددين له استحضار معنى القيم والتقيد بها في كل السلوكيات والأفعال. الغاية هي توفير مستوى أدنى من المعرفة في كل مرحلة عمرية، وتهيئة لأفراد لإدراك الخطيئة ومعانيها والتعريف بشبكة العلاقات الاجتماعية وإلزام الأفراد بأنماط للتواصل، التبادل والتعريف بالنموذج الاجتماعي وبالاعتبارات التي يجب أن تؤخذ في كل سلوك، وفي كل فعل؛ مثل؛ الاعتبارات الأخلاقية، الدينية والاجتماعية. نلاحظ أن المتن يربط بين المحرم والعضوية في الجماعة؛ مثلا؛ يتم تخيير الأفراد بين ارتكاب الفعل الممنوع والانتماء للجماعة. إن إنتاج المتن وتداوله تعبير عن ميثاق لغوي غير رسمي لضبط السلوك.

IX- "الوُسَطَاءْ" المنتجون للقيم: لتحليل المتون الدينية وفهم أبعادها التاريخية نلجأ إلى أفكار ارنست غلنر (أرنست غلنر، 2005) الذي يميز بين نوعين من الوسطاء.

1.IX- الوسطاء من الدرجة الأولى: ذو النزعة الفقهية، يؤدون جملة من الوظائف مثل التأكيد على الهويات والحدود (مثلا؛ الحلال والحرام)؛ التفقه في هذا النموذج ذاتي، لوجود التعلم والكتابة، والاعتماد على النصوص الدينية بطريقة مباشرة. القوانين والأحكام والمعايير في هذه الحالة معدة سلفا بناء على النص الديني المقدس الذي لا يمكن التلاعب به، ولا دخل للوسطاء فيه، في هذا النموذج نلاحظ وجود استقلالية نسبية للأفراد، والعلاقة مباشرة مع النص الديني، مما يقلل من قيمة وعدد الوسطاء بين النص والأفراد. هذه العلاقة المباشرة تعطي قوة للمعايير والمثل التي تتحكم في الحدود الاجتماعية لأن النصوص منزلة، أزلية، نهائية مؤكدة. في هذا النموذج يركز الأفراد على إلغاء فعل الوساطة ويدعون إلى فهم النص مباشرة؛ لأن القداسة يمكن الوصول إليها وتعلمها؛ نحن أمام متون وفاعلين جدد يوصفون بالاتجاه "الطهوري" هذا الاتجاه يعبر عن فهم جديد للدين؛ هذا الفهم له تمظهراته الخارجية ورمزياته، نحن أمام جماعة اجتماعية تحاول احتكار القداسة واحتكار التفسيرات، تتميز بقيم خاصة بها وبمحدد لترشيد السلوك و"نمذجته" أي أنها تضع العديد من الإكراهات لتقيد سلوك أفرادها، مما يجعلهم متمايزين عن غيرهم.

يركز الوسطاء النصوصيون أي أصحاب التوجهات الجديدة على وجوب الرجوع للأصل الأول والتمسك بالسلف الصالح، وهذه العملية كفيلة بإنتاج قيم جديدة. تعتمد هذه الجماعات على مبادئ ومناهج نصوصية مثل "التصفية والتربية"، وأفكار الفرق مثل؛ الفرقة الناجية (بطبيعة الحال الفرقة التي تتبع النص فقط) يحاول أتباعها تحويل الديني إلى شأن خاص يبدأ بالإصلاح والتخلص من "البدع" أي السلوكيات التي ليس لها أصل في النص المقدس وهو ما تبينه الكثير من القصص التي يتداولونها مثل القصة التالية:

"كانت هناك قرية يمر بها نهر، كان السكان لا يتورعون في رمي القاذورات فيه، بعد مدة أصبح ماؤه ملوثا، وأهل القرية مرضى، خرجت طائفة من شباب القرية، توجهوا إلى المنبع، مكثت في المكان لمدة وبعد أن اكتسبوا الصحة والعافية رجعوا إلى قريتهم وطلبوا من السكان أن يلجؤوا إلى منبع النهر، إلا أنهم رفضوا الأمر جملة وتفصيلا، تعاهد الشباب على تنقية النهر من الأوساخ، بعد مدة كان لهم ما أرادوا واكتسب سكان القرية الصحة؛ النهر هو الدين، الأوساخ هي البدع، وتنقية النهر هي المنهج أي التصفية والتربية كما أن الرجوع إلى المنبع هو رجوع إلى الأصل" لهذا فعلاقة الوساطة غير موجودة كما أن الأفراد لا يهتمون بها، مما يؤدي إلى إنتاج قيم وممارسات جديدة ويُعَجِل من تغييب القيم التاريخية وجل النشاطات ذات الطابع الطقوسي التي ترتبط معها وتؤسس للمعنى.

2.IX- الوسطاء من الدرجة الثانية: أي الشعبيون (الفولكلوريون). أدى الوسطاء من الدرجة الثانية الكثير من الوظائف – التاريخية- المرتبطة بالتنظيم الاجتماعي الإنقسامي؛ يقول ارنست غلنر في هذا الصدد "سَهَرُوا على تقديم وسائل للهوية الإسلامية، لرجال القبائل، الذين يتميزون بالأمية، وليس لديهم لا ذوق ولا أدوات لفم التقوى الشرعية القائمة على النصوص، "رجال القبائل يحتاجون إلى وساطة من الدرجة الثانية_من قبل أشخاص، أولياء خاصين يتسمون بِالتَمَيُز لا بالمساواة، تحتاج هذه الوساطة إلى أن تكون فرصة وتستحق الاحتفاء بها وأن لا تكون ذات نزعة طهورية (أرتوذكسية)" (أرنست غلنر،2005، 90) نلاحظ أنهم استخدموا رمزيا المتون الشفهية لإضفاء الشرعية ونزعها عن كل الأفعال والممارسات، أي أنها كانت تستخدم للتعبئة؛ تعبئة الجماعات الحربية في السابق، وهو ما يجسده المتن التالي (متن استخدم لتعبئة القبائل المتوطنة بالمنيعة لمقاومة المستعمر الفرنسي، يحثهم على الالتحاق بثورة أولاد سيد الشيخ لازال يردد بالوسط المحلي-بولاية تيارت- على الرغم من أنه يعود حسبهم إلى سنة 1871).

ضـــيفْ الله يَا رْجَالْ رْكَايَزْ رْجَالْ الدِيْوَانْ كْذَا مِنْ شِـــيـــخْ فَالمْتِيْعَةْ
مُحَمَدْ حَاجْتُوْا قْـــضُوهَاْ بِالـــمِضْمَانْ يَا مَـــنَاعِيْـــنْ كُلْ مَنْعَـــةْ
يَا نَـــاسْ الجُـــودْ وَالجَـــدْ وْأهلْ البُـــرْهَانْ غِـــيْتُونِي بَالعْـــلاَمْ فَزْعَةْ
تَلْمِيذْ الشِيخْ وَاجْـــبُونِيْ بَلِيْ كَـــانْ وَالزَايَرْ جَابْتُوْا الـــطَمْـــعَةْ
حَيِينْ وْنَايْمِـــينْ نَطْلُبْـــكُمْ جِـــيْرَانْ صُدُوْا لِلْـــضَيفْ بَالجْمَاعَةْ
آنَا سِيْدْ الشِـــيخْ سَقَامْ الـــفرْسَانْ مِـــنْ بِيـــهْ مْعَمْرَةْ الفَرْعَةْ
خَاطَرْ وَغْرِيبْ وَنْجِلِيتْ لْذِيْ لَوْطَانْ رَانِيْ فِيْ عَـــارْكُمْ وْدِيعَةْ

الوسطاء في هذا النموذج يقومون أيضا بتلبية احتياجات لأفراد حول الفتوى والقضايا الدينية، الوسطاء يسعون لتوفير تفسيرات منطقية مقبولة حول الاجتماعي وطبيعة العلاقات السائدة مثل؛ العلاقات بين الأنا الذي ينتمي إلى الجد المؤسس والآخر الذي لا ينتمي إلى هذا الأصل الشريف، المتون الواردة عن الوسطاء تلقى مقبولية في المجتمع المحلي بحكم أنهم ينتمون إلى سلالات "مقدسة"، دورهم هو تدريب المتدينين ونشر الوعي بينهم، تكون حياتهم هي النموذج تعمل الذاكرة الجمعية على حفظ مآثرهم واستظهارها في مواقف محددة، فهم يدعون إلى قيم لالتزام، والاعتدال. يُنظر إلى نمط التدين في هذه الحالة على أنه مبرر لهرمية المجتمعات المحلية ولأشكال السلطة الموجودة. على الرغم من أن المتون

الشفهية ترتبط بالزمن الماضي-التاريخي المنقطع عن ''هنا الآن'' إلا أنها لا زالت فاعلة، على الرغم من أنها أُنتِجَت لفئة ''المحاربين؛ الفرسان'' لتوفير الحماسة الدينية ولتوجيه الصراعات ولإنهاء الحروب المتبادلة بين البنيات الانقسامية. إلا أنها تردد اليوم بشكل استرجاعي يخدم غايات ووظائف أخرى، إذ تعتبر كمنبع للقيم لأنها ناتجة عن فاعلين ووسطاء متعالين يقابلها متون جديدة يمثلها فاعلون ذوي نزعة وتوجه خاص، يحاول القائمون عليها تطبيق قيم قد تتعارض مع القيم التاريخية وتؤسس لنموذج مغاير. دور الوسطاء في هذا النموذج الدعوة للتمركز حول الولي، الإيمان بأن القداسة وراثية، في هذا النماذج؛ هناك رابطة بين شيخ ومريدين ورسالة؛ القيم فيه وراثية (كُلْ وَاحَدْ قَابَضْ عْلَىْ شِيْخْ) الطرف الأول هو الولي على اتصال دائم بالمقدس الطرف الثاني هم كل الأفراد ويتميزون بالانغماس في النشاطات اليومية، يحتاجون إلى الوسيط-الولي؛ وجود الوسطاء غايته ضمان حد أدنى من التنظيم المركزي من خلال الإرشاد والتوجيه السلوكي. يرى الكثيرون بالمجتمع المحلي بأن ووظيفتهم قد انتهت بانتهاء البناء الاجتماعي الانقسامي لهذا لا يحصلون اليوم على التبجيل، نلاحظ اليوم تراجع في الإيمان بالتجربة التاريخية، الاجتماعية للصلحاء على الرغم من أنها عبارة عن نموذج معبر عن ممارسة نتجت عن لانقطاع عن العالم والاكتفاء بالدور التنظيمي والتأسيس لتجربة فريدة، أدت إلى تملك الكرامة وأعطتهم القدرة على منح البركة. تجربتهم فقدت معناها لدى الأفراد مما أعطى قوة للنماذج الجديدة المستحدثة وللقيم التي يحملونها وهو ما تعبر عنه الأبيات التالية:

نموذج متن الوهراني: (غياب الصلحاء يؤدي إلى غياب القيم ويؤدي إلى تغير اجتماعي راديكالي)

يَضحَوا مخَلطِين لاَ سَنَّة لاَ دِين لَحبَاب الزِينين دَرقُوا فِي الـــحـــنَظَـــلْ
النَّاس النقِيين يَضحَوَا مَكرُوهِين وَالنَّاس الفَاجرِين هَدرَتهُـــم عـــسَـــلْ
يْـــبُـــوحَـــوْا بَالـــحْـــرَام فِـــيْ كُـــلْ مْـــكَـــانْ
الشرِيعَة تغِيب وَيبُوحُوا بَالعَيب يَضحَى مَن لاَ يهِيب وَلاَ مَـــن يحَلَـــلْ
يَتـــقَوَى الـــحرَام فِي الحوَانِيت وَلخِيَام يَتغَيَر الكلاَم وَيـــعَم الجـــهَـــلْ
الرَّاجَل يشُوف وَالزَّوجَة مَكشُوف السَّوط معَ الطُوف يَدـــوُه مسلسَلْ
الَبنَات العزَاز مَا صَابُوا لَزَاز بَعد النَّفحَة تَـــنحَاز وَتُـــترَك الـــرَّاجَـــلْ
تَتسَوق لَلسُوق وَالخَلقَة مَطبُوق مكَيـــف بَرشُوق وَالـــرَأي مْـــبَـــدَلْ
يَـــتغَـــيَـــر الـــدِّين مَالَه نَهَايين الـــمَروُ الأَمـــين مَا بيَدَه يَـــعمـــلْ
الـــمَـــرْوُ الـــصَّـــدِيـــقْ بَالـــغَـــلْ مْـــخَـــمَـــلْ
الـــمَسِكِينْ يشُوف عَايَش تَكلُوفْ حَاصَل وملَهُوف مَا بِيدِه يَـــعمَلْ
يَا وِيـــح الـــمَسكِين فِي شَلَّة سنِين مَالَه حنِين فِي الخَلقَة كَـــامَـــلْ
تَتبَـــدَل الأَسعَار وَيرِيبُوا لَصوَار لاَ شَايَب بُوقَار وَلاَ عَادَل يـــوَصَـــلْ
يهُومُوا لَبنَات يَضحَوا مَتفَرقَات مَا تَبقَى مرَا عـــلَى يَـــد الـــرَّاجَـــلْ
دَارُوهَا فُرجَة وهِيَ مَرهُوجَة مَا تَبقَى شَايفَات كُـــل مـــرَا هَـــجَالْ
لَبنَات الزَايخَات يَضحُوا مَكشُوفَات يرُوح مَنهَا وَالِي بـــقَا يَـــهبَـــلْ
يَـــقرُاوْ الـــقُرآن يَـــعبَدُوا لَوثَان مُسلِم بَاللِسَان وَالضمِير كـــحَـــلْ

هذه الجماعات متمايزة ومختلفة تنتج قيم قد تكون متباينة ومتعارضة، أحدها ذو اتجاه إصلاحي وآخر ذو اتجاه محافظ، كلاهما يبقى في مرحلة الكُمُونْ قد يتحول إلى اتجاه راديكالي-متشدد -. الجدير بالذكر أن لكل منها نفس الطريقة في إنتاج المتون الشفوية التي لا تخلوا من ذكر للفاعلين المؤسسين على أنهم رواد للإحياء الديني وهم مرجع للقيم، لهم أثر على الممارسات والسلوكيات في الفضاء الاجتماعي. بالرجوع إلى الوضع الاجتماعي الراهن نلاحظ وجود انتعاش وميل

لاطلاع على النصوص الدينية مباشرة؛ الأفراد لا يؤمنون بكل ما هو موجود في المتون الشفهية الشعبية، خاصة مع ارتفاع المستويات التعليمية وانفتاح البناءات الاجتماعية، وزوال القبيلة-نسبيا (زوال جغرافي، سياسي وتغير البنية الاجتماعية) كل هذا عزز من التوجه نحو الفاعلين ذوي نزعة الطهورية؛ وعزز الميل إلى أشكال تدين أخرى، كما أنه يمكن فهم النصوص الدينية مباشرة دون وجود وسطاء (من خلال القراءة وتعلم الكتابة). كل هذا يرجع إلى أن الخدمات التي كان يلبيها الوسيط -أي الولي والصلحاء- تتكفل بها مؤسسات أخرى ووسائط جديدة، تقوم الفئات الاجتماعية بالتشكيك في المتون الشفهية مثل السير، قصص الكرامة والمناقب؛ الشباب مثلا يرون أن المتون تشير إلى فاعلين لا يتجاوز دورهم التاريخي إجازة مهرجان داخل قرية أو مباركة أشكال التعاقد داخل القبيلة أو بين القبائل، وفي أحسن الأحوال ممارسة التحكيم ومحاولة القضاء على أشكال العنف. ليس لهم أي دور (اليوم) وهو ما يجسده المتن التالي الذي يبين رفض للقصص المناقبية وللكرامة:

"وَحْدِيْنْ كَانُوْا دِايْمَا يَرَفْدُوْا خَشْبَةْ كْبِيْرَةْ (جذع شجرة) يْقُوْلُوْا بَلِيْ تَاعْ وَلِيْ صَالَحْ؛ يْدُوْرُوْ بِيْهَاْ فِيْ الدْوَاوِيْرْ والأسواق، فِيْ الرْبِيعْ، يْلَقْطُوْا الصَدَقَةْ والزْيَارَةْ مِنْ كُلْ النْاسْ، النَاسْ كَانُوْ يَتْبَرْكُوْ بِيْهَا؛ وْكِيْ يْجِيْ اللَيْلْ، يْحُطُوْهَا عَنْدْ كُانَشْ دَارْ، وْيْطُلْبُوْ مَنْ مُوْلاَهَاْ يْبِيَتْهُمْ وَيْوَكَلْهُمْ، وْفِيْ وَاحَدْ النْهَارْ حَبْسُوْا عَنْدْ دَارْ وْقَالُوْا لْمُولاَهَاْ؛ بَيْتَنَاْ عَنْدَكْ، قَالَهُمْ سْتَنَاوْ شْوِيَةْ وَنْجِيْ، جَابْ فَاسْ كْبِيْرَ وْقْطَعْ ذِيْكْ الخَشْبَةْ؛ مَاخَلاَشْ فِيْهَاْ، وَمَنْ ذَاكْ اليُومْ تَهَنَاوْا النَاسْ مِنْ هَذْ الغَاشِيْ وْمَنْ هَذ العَادَة"

المنتمون إلى نمط "التدين العَالِمْ" يستغلون طابع الخوارق الذي يغرق فيه المتن الشفهي لانتقاده والدعوة لاستبداله بمتون موثوقة من القرآن والسنة، لا يكف المنتمون إلى فئة المتعلمين من انتقاد "القوة المطلقة للولي، وأفعاله الخارقة، لإظهاره على أنه منغمس في اللهو والملذات الدنيوية" وتعويضه بتجربة اجتماعية متواترة موجودة في الكتب الفقهية وكتب السيرة كآلية لرفض القيم، والاكتفاء بالشفويات التي لا تتعارض مع رؤيتهم. مما يؤدي إلى فصل الأفراد تدريجيا عن التجربة الاجتماعية التاريخية، وعن الممارسات والطقوس، مما يؤدي إلى تبني معاني وتجارب جديدة غير معهودة بعيدة عن المتون الشفهية.

ترى الفئات الاجتماعية اليوم أن المتون الشفهية كان نتاج ملابسات وظروف قد انقضت، أي افتراض أن الشفويات أنتجت من متعلمين إلى أميين فقط، لظروف اجتماعية تاريخية، يرون أنها أنتجت تحت تأثير الصدمة الاستعمارية، فهي تسعى إلى إشاعة قيم الشجاعة والبطولة والتذكير بالمناقب والملاحم، هي متون تعتبر كرد فعل مقاوم للحركة التوسعية الاستعمارية ولقيمها (كثيرا ما نجد المتون تذكرهم بالأسماء؛ أسماء ضباط فرنسيين، رتب عسكرية، صفات، جنسيات فرنسية، اسبانية، أوروبية) لا زالت هذه المتون موجودة مثل شعر محمد بلخير، ولخضر بلخلوف وغيرهم. ترتبط المشافهة بحركة المقاومة، الهدف منها، رد الاعتبار للقيم المحلية لأنها كانت تمجد قادتها (الزعماء الروحيين من الصلحاء والأولياء والمرابطين) لكنها بعيدة عن الواقع، لذا يجب تجاوزها وتجاوز القيم التي تدعوا إليها.

يقول عبد الغني منديب إن "عهد الصلحاء خلف وراءه عددا هائلا من المزارات الذي أصبح اليوم ببنياته وتجهيزاته وقاعدته الاقتصادية مؤسسة ضخمة تؤدي العديد من الأدوار؛ على الرغم من الاحتجاج حولها وحول شرعيتها وشرعية تقاليدها إلا أنها موجودة، تمارس أنشطتها" (عبد الغني منديب، 2006، 192)كل هذا على الرغم من إنتفاء الزمن الذي تنتمي إليه هذه المتون (أي زمن بَكْرِيْ)، يسانده الباحث ارنست غلنر إذ يشير إلى تراجع أدوار ومكانة المؤسسين للمتون الشفهية؛ مثل الوَلِيْ والمْرَابَطْ؛ مما أدى إلى القضاء على القوالب اللغوية الخاصة بهم، إن هذا التراجع للنموذج التاريخي مكن للنموذج الجديد من الظهور. نشهد اليوم وجود منافسة بين الفاعلين الدينيين، كل جماعة تمثل نموذج خاص، يمارسون لعبة التحييد؛ نلاحظ وجود تنافس متبادل لتقديم معارف حول المقدس ونظام القيم، أي تقديم نظام معياري متماسك وإنتاج معاني والتفاوض حولها.

نلاحظ في المجتمع المحلي وجود شريحة وفئة من الأفراد ينتمون إلى نماذج قيمية صنعها مشايخ جدد لا يمتون بصلة للمقدس في شكله التقليدي، نحن أمام نموذج ومرجعية دينية حديثة، المشايخ فيها قريبون من النجوم هم عبارة عن صناعة إعلامية، مما يساعدهم على بناء مرجعية قيمية. يتميز خطابهم بأنه نقدي احتجاجي ذو نمط "إصلاحي"؛ هذا الاتجاه يركز على العديد من الأفكار كالوسطية، الاعتدال، العودة للتراث وللعصر الذهبي عصر السلف الصالح، أي أننا أمام متون شفهية جديدة قائمة على فاعلين جدد لا يمتون بصلة للمحلي مثل الدعاة الجدد الذين يؤسسون لمشافهة جديدة على علاقة بمتدينين وقيم جديدة.

X- الخلاصة : الشفويات هي عبارة عن خطاب مؤسس له غايات ووظائف؛ هي عبارة عن عمل لغوي يتميز بقوة إنجازية الغاية منها التعبير ، الابلاغ الإبانة والتأثير في الآخر، هي عبارة عن بنية ذات سلطة اعتبارية تتجاوز جل الأشكال اللغوية المعروفة، كما أنها تخضع لمبدأ الاستخدام الاجتماعي الواسع، يضل هذا الاستخدام الاجتماعي للمتن الديني ثابتا نسبيا، يؤدي جملة من الأغراض والوظائف حال النطق به؛ محكوم بجملة من المعايير البنائية-الشكلية. المتون تنقل التجربة الاجتماعية-الدينية. المتون ليس لها معنى خارج اطار التجارب التي سمحت لها بالاشتغال وأعطتها دلالة ثابتة، فهي تعمل وفق وظيفة تفسيرية، لا تخلوا من التبرير والتوفيق في ضل سجال دائم –الفعل ورد الفعل- مثلا: حول الخطيئة المحرم، الممنوع والمسموح. في كل خطاب شفهي-أسطوري- يسعى المنتج والمتداول إلى التأسيس لفكرة أصل القيم يوزعها إلى ثنائيات يسعى للتأسيس لأصل العالم الاجتماعي وجل الممارسات، والقيم الملازمة له؛ الغاية هي صناعة أنماط سلوكية تؤطر الفعل الاجتماعي تغذي السجالات التاريخية واليومية على حد السواء فهي تتجلى كردود فعل على النصوص الشفوية والمكتوبة أو المسموعة. تعكس اللغة المحلية النزعات القيمية والتعارضات داخل السوق اللغوية؛ يحاول من خلالها الفاعل أو القائم على الخطاب هدم وبناء الوقائع والتأسيس لرؤية دينية ثابتة ترتبط بطائفة أو فئة اجتماعية.

المتون الشفوية المستخدمة في اليومي تشير إلى السجالات التي يعتقد أنها تاريخية غير مقطوعة الصلة بما سبقها من مقولات أصلية ميثولوجية-أسطورية؛ هي عبارة عن ارتداد إلى اللحظات الأولى للتأسيس والخلق، تم صياغتها في شكل درامي، ذات منطق ثنائي، هي عبارة عن بناء يُعَقْلَنْ باستمرار، يعطيها الأفراد -المستخدمون للغة- مصداقية ويُضفُونَ عليها منطق خاص. على الرغم من تركيز الدارسين للمتون على الجانب الجمالي إلا أنه يمكن تجاوزه لصالح الجانب المعرفي، هي بمثابة إعلان صريح عن خطاب مواجه لكل الخطابات الأخرى، فهي تعمل تدريجيا على اقصاء ودحض كل الخطابات الأخرى وتؤسس لمعرفة، يتم اسقاطها على الاجتماعي؛ نلاحظ أن المتون الشفهية تضل أداة للتعبير عن سلوكيات الأفراد، لتأهيلهم، الغاية إذن هي تخليق الحياة الاجتماعية وصناعة القيم. إن فعل الترديد والاستحضار للقوالب اللغوية ينظر إليه على أنه نوع من استرجاع للأصالة، الطهرانية والصفاء ورجوع إلى الزمن الذهبي للجماعات، من خلال استدعاء النموذج الأول-الأصلي والفاعل الديني التاريخي. كما أن ترديد المتون يعتبر كمحاولة لتأمين التصورات وتوحيدها؛ إذ يعتقد أنها موضوعية. نحن أمام سعي دؤوب لتوفير معرفة تخدم وتعمل على إنتاج معيارية تتحكم في الاجتماعي من خلال صناعة للقيم. المتون تُحَوِلُ التجربة الدينية الفردية-التاريخية المعزولة إلى تجربة كلية مكتملة متعالية والغاية هي توفير وعي لتأهيل الذوات وتحويل الحميمي الشخصي إلى اجتماعي؛ إن الحكي عن شيخ عالم فقيه، عاش في القرون الماضية هو نقل لجانب حميمي من حياته لتحويله إلى نموذج عملي يصلح للاقتداء به. أي العمل على إنتاج تجربة جديدة مكتملة تتماهي مع التجارب التاريخية الحميمية-الموثوقة **(Intime)** المكتوبة الموجودة في الكتب وأدب السير والمناقب، مما يعطي للمتون مصداقية في المجتمعات المحلية، ويحولها إلى معالم ومعايير للحكم والملائمة؛ للحكم على السلوك والأفعال والاجتماعي ككل؛ لتتجلى على أنها موضوعات ثابتة-نسبيا مستمرة في الزمن يمكن إخضاعها للبحث والتقصي في ميدان الأنثروبولوجيا.

- **الإحالات والمراجع :**

1. Emile Dermenghem. (1954). Le Culte des saints dans l'Islam maghrébin. Gallimard.
2. Gaston Mialaret. (1979). Vocabulaire de l'éducation. Paris: PUF.

أبي الحسن أحمد بن فارس بن زكرياء (1991) معجم مقاييس اللغة. تحقيق عبد السلام محمد هارون، بيروت -لبنان :المجلد الخامس، دار الجليل.

3. أرنست غلنر(2005) مجتمع مسلم .طرابلس -ليبيا: دار المدار، توزيع دار أوبا للطباعة النشر والتوزيع والتنمية الثقافية.

4. الأزهر الماجري .(2013) .لقبيلة الولائية والاستعمار أولاد سيدي عبيد والاستعمار الفرنسي في الجزائر وتونس -1830 1890، مسار التفكيك وآليات المقاومة .تونس :المطبعة المغاربية للطباعة والإشهار.

5. إسماعيل عبد الفتاح وآخرون .(2003) .معجم المصطلحات عصر العولمة؛ مصطلحات سياسية إقتصادية إجتماعية ونفسية وإعلامية .الثقافة للنشر والتوزيع.

6. بثينة الجلاصي,(14-16 ديسمبر 2008). الأبعاد الأنثروبولوجية في تجربة الفتوة الروحية عند الأولياء الصالحين في منطقة القبائل .الملتقى الدولي "تصوف، ثقافة، موسيقى. "الجزائر :الطبعة الخامسة من أعمال المركز الوطني للبحث في عصور ما قبل التاريخ وعلم الانسان والتاريخ .(CNRPAH)

7. بنسالم ,ليليا .(1988) .إرنست غلنر السلطة السياسية والوظيفة الدينة في البوادي.(ترجمة عبد.الأحد السبتي) الدار البيضاء، المغرب: دار توبيقال.

8. الحاج بن مومن (2006) استراتجية الخطاب لدى العرب الرحل. الرباط، المغرب: منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية الرباط.

9. حسن شحاته، زينب النجار، حامد عامر .(2003) .معجم المصطلحات التربوية والنفسية .القاهرة -مصر :الدار المصرية اللبنانية.

10. خالد محمد .(2010) .صيرورة الممارسة الصوفية في المخيال الاجتماعي. الجزائر :أعمال المركز الوطني للبحث في عصور ما قبل التاريخ علم الإنسان والتاريخ .(CNRPAH) .

11. خالد محمد .(2010) .صيرورة الممارسة الصوفية في المخيال الاجتماعي .الجزائر: الطبعة الرابعة، أعمال المركز الوطني للبحث في عصور ما قبل التاريخ علم الإنسان والتاريخ.(CNRPAH)

12. رشيد بليل .(2008) .قصور قورارة وأولياؤها الصالحون في المأثور الشفاهي والمناقب والأخبار المحلية .الجزائر :عن وزارة الثقافة، المركز الوطني للبحث في عصور ما قبل التاريخ وعلم الإنسان والتاريخ.

13. سليم, شاكر، مصطفى .(1981) .قاموس الأنثروبولوجيا (إنجليزي عربي) الكويت.

14. شابحة بداك (2003) .الممارسات السحرية إحشكولن في المجتمع الأمازيغي .الجزائر :منشورات دار السعادة.

15. ضيف شوقي .(2004) .المعجم الوسيط لمعجم اللغة العربية .الطبعة الرابعة، مكتبة الشروق الدولية.

16. عبد الغني منديب.(2006). الدين والمجتمع دراسة سوسيولوجية التدين بالمغرب، الدار البيضاء المغرب: إفريقيا الشرق.

17. عبد الملك مرتاض .(1995) .تحليل الخطاب السردي .الجزائر :الطبعة الأولى ديوان المطبوعات الجامعية.

18. عبد المنعم حنفي .(2003) .الموسوعة النفسية علم النفس والطب النفسي .مصر :مكتبة مدبولي.

19. العلوي هادي (1988) ,من قاموس التراث .دمشق، سوريا :الأهالي للطباعة النشر والتوزيع.

20. فرفار جمال (ديسمبر 2008) .سوسيولوجيا القيم والعولمة .جامعة مصطفى سطمبولي -معسكر -الجزائر :العدد 03، مجلة الموافق للبحوث والدراسات في المجتمع والتاريخ.

21. محسن بوعزيزي .(2010) .السيميولوجيا الاجتماعية .بيروت -لبنان :مركز دراسات الوحدة العربية.

22. محمد علي الجندي. (2010). رؤية تحليلية للولاية الصوفية الجزائر: عن وزارة الثقافة والمركز الوطني للبحث في عصور ما قبل التاريخ علم اللإنسان والتاريخ (CNRPAH).

23. الموسوعة العربية العالمية .(1999) .الرياض -المملكة العربية السعودية :الطبعة الثانية، الناشر أعمال الموسوعة للنشر والتوزيع.
24. نور الدين الزاهي .(2007) .بركة السلطان -دفاتر وجهة نظر .الرباط -المغرب :العدد 12مطبعة النجاح الجديدة.
25. نور الدين الزاهي. (2011). المقدس والمجتمع. الدار البيضاء المغرب: إفريقيا الشرق.
26. نور الدين طوالبي .(1988) .الدين، الطقوس .(ترجمة؛ البعيني) الجزائر :الديوان الوطني للمطبوعات الجامعية.
27. الهادي الهروي .(2005) .القبيلة الاقطاع والمخزن، مقاربة سوسيولوجية للمغرب الحديث،1934-1844 الدار البيضاء - المغرب: إفريقيا الشرق.
28. وجدي محمد فريد(1971) دائرة المعارف القرن العشرين .مصر :مكتبة مدبولي.

كيفية الاستشهاد بهذا المقال حسب أسلوب APA :

بودواية مختار ، (2020)، **تحليل المتون الشفوية الدينية بالوسط المحلي مقاربة أنثروبولوجية** ، مجلة الباحث في العلوم الإنسانية والاجتماعية ، المجلد 12(02)/ 2020، الجزائر : جامعة قاصدي مرباح ورقلـــــة، (ص.ص 1-20).